قصص

يارا جمال الدين

الموقّع أدناه

وحاجات تانية كمان

دار ليلى
كيان كورب
للنشر والتوزيع

المُوقِّع أدناه

يارا جمال الدين

الكتاب:

الموقع أدناه

المؤلف:

يارا جمال الدين

رقم الإيداع:

1724 /2013

الترقيم الدولي:

978-977-5238-63-4

★★★

الغلاف واللوحات الداخلية:

نسمة الشرقاوي

المدير الفني:

حسام سليمان

التدقيق اللغوي:

محمد عبد الغفار

★★★

التوزيع:

عبد الله شلبي

الإشراف العام:

محمد سامي

★★★

المهندسين-23 شارع السودان–تقاطع مصدق-الدور الرابع–مكتب 11

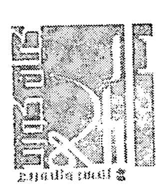
هاتف: 33370042 (02) (002) - 23885295 (012) (002)

البريد الإليكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

كيان كورب
للنشر والتوزيع
دار ليلى

يارا جمال الدين

المُوقِّع أدناه





مقدمة إلا ½..

بسم الله الذي لا تحلو من دونه الأحرُفُ..

أعرف، وأوقن، أن معظم الناس لا يعبأون بقراءة مقدمات الكتب؛ فدعنا نواجه الواقع أساحبي.. مفيش حد بقى يحب القراءة زي زمان.. فنحمد ربنا إن فيه ناس بتشتري كتب من أصله..

لذلك فأنا أتعهد بأن تكون المقدمة كلمتين ف الإنجاز وشكرًا..

* * *

كثيرًا ما قرأت مقدمات كتب أقسَم فيها الكاتب على أنه لم يكن لديه أي نية في إصدار هذا العمل، وأن ما دفعه لذلك هو أن صديقه أو ابن عمه أو جارهم ف الحتة القديمة زن على ودنه حتى أقنعه بموهبته.. وقد يزيد على ذلك قولاً بأن الكتابة ليست من هواياته من الأصل وأنه لا يجيدها بالمرة.. ولكنني، وسبحان الله، على النقيض تمامًا.. فأنا أعشق الكتابة – ولا أعلم إن كنت أجيدها أم لا فهذا يرجع لحكمك أنت كقارئ – وأحب الحروف كحب الأرض الجرداء لقطيرات المطر!!

أقسم بأن فكرة نشر عمل خاص لي تراودني منذ لا أدري.. فلنقل منذ زمن طويل جدًا يتعدى السنوات الست ويزيد.. ولكنني أتراجع أو أتباطأ أو

أتناسى أو أتنازل أو أتخلى.. سمِّها ما شئت.. وحيث يبدل الله الليل بالنهار والجوع بالشبع وحسني بمرسي؛ فقد تبدلت أنا من كل هؤلاء إلى حالة "إقرار النشر"، وللخالق الحمد..

وزي ما وعدتك أيها القارئ الفاضل بأن تكون المقدمة قصيرة نحيلة قدر المستطاع، فأنا أعدك بأن تجد في هذا الكتاب "كوكتيل مشكل".. يعني ربع اجتماعي على تُمن كوميدي على سلايساية رومانسية محندقة.. بمعنى أوضح ستجد – بالصلاة على النبي كِده – زي ما بيقولوا من كل رجلٍ قبيييييلة..

فأتمنى أن تنال قبائلي المتواضعة إعجاب فخامة سيادة حضرة معاليك..

ملحوظة: اسمي الحركي في "نادي روايات" هو "Pooh" وساعات بيقولوا لي "يارا"، وأحيانا "يارا جمال الدين".. عشان بس ماحدش يعمل نفسه مش واخد باله.. 

يارا،

شكر خاص..

لرفيقة الثانوية العامة تحت اللحاف الفايبر والكشاف أبو لمبة واحدة.. "واللي لحم اكتاف الجامعة الخاصة اللي أنا دخلتها من خيرها".. اسم الله عليها وع اللي حواليها.. رشيقة القد والقوام.. رفيعة الأصل والنسب..

مجااااااااانييييين *[*] ..

و"مجانين" يعني:

محمد فتحي

محمد علاء الدين

أحمد العايدي

تامر أحمد

محمد سامي

تامر إبراهيم

وعباقرة آخرون..

وأخص بالشكر أيضًا المبدع أحمد عبد المنعم على دوام المساندة والتشجيع، وكذلك الصبر ☺.

---

*سلسلة (مجانين) بدأ العمل عليها أواخر عام 1998 م وتوقفت بدايات عام 2000م، وهي سلسلة ساخرة كانت تصدر عن دار (المبدعون) تحت إشراف الكاتب الكبير د. نبيل فاروق.

امتنان واضح وصريح ومباشر.. لـ"*نادي روايات* ":

(www.rewayat.com)

والسهر ع النت أبو "دايل أب" وإيييييء.. أوووووووء..

تششششششش.. وشششش..

وما يكملش دقيقتين ويقطع.. هو والبوست..

امتنان تاني مباشر وصريح وواضح "م الشمال لليمين المرة دي".. لكل

أهلي وعشيرتي وجيراني..

بس بتاع التُّك تُك لأ؛ عشان زنَّق عليا وخربش لي الجنب اليمين!!

ولكل أصدقائي النتّاويين والـ"ثري دي".. بجد ربنا يخليكم ليّا على

التشجيع والمثابرة وقراءة أعمالي "الممتعة" الساعة تلاتة الفجر بتطوّع كامل

منكم وبدون أي ضغط مني..

واللي مش مصدق يسألهم..

إهداء

إلى ماما الشاعرة المبدعة اللي علمتني أحب القراءة يوم ما رفضت تشتريلي "ميكي" م المكتبة وجابلتي بداله مسرحية "يا طالع الشجرة" لـ"توفيق الحكيم".. وأنا عندي تسع سنين..

إلى بابا اللي كان النزول معاه لمعرض الكتاب أكبر استغلال في الحياة وعمره ما قال لي على كتاب لأ..

إلى محمد أخويا اللي عرفني على "رجل المستحيل" و"ما وراء الطبيعة".. وتكنيك القراية تحت اللحاف إياه..

هبة صلاح.. نسمة أحمد.. منال عبد الله..

إزاي خليتوا لكل حاجة طعم قوي كده؟!

شكرًا على كل حاجة حلوة.. اللي هي انتوا..




رومانس
هو دا خطيب الست هند
اللي كنت عايز تدفع نص عمرك عشان تشوفها ...
اتفضل .. ادفع عمرك كله بقى !! ..
يوسف بك وهبي
من فيلم إشاعة حب



حبيبتاي

تطلَّع إلينا الطبيب بنظرة شفقة متقنة الصناعة وقال بصوت حاول أن يبدو متأثرًا:

– لازم نضارة للأسف..

لا أعلم لِمَ شقت الكلمات ضلوعي لتستقر مباشرة في جوف قلبي على الرغم من أن النظارة الطبية لم تكن لتعتقل قرنيتَيّ أنا.. نظرت إليها بطرف عيني وبكامل فؤادي فوجدت وجهها جامدًا لا تغزوه أي تعبيرات مما توقعتها على الرغم من علمي القاطع ببغضها للمذكورة!! تمزقت ذرّاتي عندما أومأت إليّ وابتسمت قائلة:

– يلا نمشي..

اعتدلت قائمًا وأمسكت يدها الصغيرة فوضعتها براحتى الأخرى ومن ثمَّ أطبقت عليها برفق ومضينا إلى حيث المصعد.. استدعت ذاكرتي الحوار الذي كان منذ بضع دقائق مضت..

– أمممم.. شكلك بتعيّطي كتير.. مش كده؟

سألها الطبيب وبعيونه نظرة مَن باستطاعته قراءة أفكارك.. تململت

شفتاها.. انخفض صوتها وأجابت مسرعة:

– مش كتير.. لأ.. قليل يعني..

بالطبع كان جوابها هو محض الإثبات ذاته لا النفي.. تطلع الطبيب إلى يدي اليمنى فرأى خاتم الخطبة، من ثمَّ توجهت مقلتاه إلى وجهي وهي تكاد تشير إليّ صارخة بانتصار من عرف الجواب: "يبقى هو ده البغل اللي هيعميكي".

أشحت بوجهي كالمتهم النادم على جريمته.. فالأخ الدكتور كان قد أصاب الجواب حقاً.. نعم؛ فأنا المالك والمتحكم في غددها الدمعية.. أنا من أورثها الطبقات الداكنة الراسخة أسفل عينيها.. وبالتالي فأنا المتسبب في أن تُحبَس تلك العيون السوداء المرحة بقضبان من الزجاج!!

انفرج بابا المصعد ليعلنا عن وصوله فعاود إدراكي الوجود.. دفعتها برفق إلى الداخل وأنا أتجنب التطلع إليها ولو أنها رمقتني لفهمتْ على الفور ما يجول بداخلي ولكنها لم تفعل بدورها.. أنا أدمنها حبًا وعشقاً وهيامًا وأضف إلى ذلك ما شئت من كلمات المودة وكذلك تفعل هي.. ولكن الفارق الوحيد بيننا هو أنها لا تُبكيني ولا تخصني بشيء من سوء مزاجها إلا اليسير جدًا منه وفي المواقف المعنية بالخلاف بيننا فقط. لطالما اعتقدت أن الحب هو أن يتحملك الآخر كما أنت.. وإن لم يفعل فهو حتمًا لا يحبك.. ومرارًا حاولت

هي إقناعي أن نوعًا آخر من الحب هو أن تحاول التغلب على مرارة ما فيك أو ما يسيطر عليك من أجل بسمة تراها على ثغر من تحب.. عملت أنا بمبدئي وعملت هي بمبدئها.. فعشقتها حتى ذابت فيها روحي.. والعجيب أنها أيضًا أحبتني على الرغم من كل ما أكونه!!

- إزاي تحب حد وتخليه يعيط؟

بادرتني يومًا بهذا السؤال، فلم أهتم بالإجابة لاعتقادي المتيقن أن البكاء صفة تولد بها المرأة وأن لا دور لي فيه فأنا لم أطلبه.. بالإضافة لكون الدموع صادرة منها هي لا مني أنا!! ولكنني الآن أعاود فأسأل نفسي ذات السؤال.. باستفهام تارة.. وباستنكار تارة أخرى، مع عجزي التام عن إيجاد جواب له..

كنا قد وصلنا إلى زاوية الشارع وأنا ما زلت متمسكًا بكفها.. متحاشيًا وجهها الحبيب.. فإذا بها تفلت يدها من راحتي وتهرول تجاه محل للنظارات الطبية لتلصق كلتا يديها على زجاج الواجهة كالطفلة الصغيرة كي تطالع الموديلات المعروضة.. انسقت وراءها وبقايا قلبي تطرد الدم منه طردًا.. وقفت بجوارها صامتًا حيث ولّت الكلمات مني فرارًا.. مالت بكامل رأسها على الزجاج فالتصق أنفها به.. كدت أبتسم لبراءتها لولا التزام شفتي بالحزن على ضعف حبيبتيهما..

- شريف..

باغتتني بالنطق باسمي فكدت أضمه لو أن للكلمات أن تُضم بالجوارح!!

- عيون شريف..

تطلعت إليَّ.. ولأول مرة منذ غادرنا الطبيب أجد بمقلتيها بوادئ قطيرات تستأذن بالانحدار..

- هو.. هو.. مممم.. هو أنت مش هتحب شكلي بالنضارة؟!

اقشعر جسدي من السؤال ورغبت بشدة في صفع نفسي، لو أمكن.. هي لا تفكر بكوني السبب في مأساتها ولا تود الانتقام مني ولو لفظيًا.. بل تفكر في ما إن كانت بعويناتها ستصيب استحساني أم لا.. ياإلهي!! لِمَ أُكافأ بما لا أستحق فيزداد ألمي بشاعة؟! طأطأت رأسي بحثًا عن كلمات قد تهوّن عليها قليلاً فلم أجد.. رفعت يدي إلى عيونها ومسحت برفقٍ أول قطرة نجحت في التسلل إلى وجنتيها الورديتين.. ابتسمت لها وقلت وشفتيّ ترتجفان من شدة انفعالي:

- ششششششش.. أنا بحبك كلك على بعضك إن شاالله حتى تكوني لابسة خوذة مش بس نضارة!!

ضحكتْ فتسرب صوتها إلى روحي ليُدخل الشمس إلى كل الغُرف المُعتمة.. ربتُّ على رأسها بحنان أدركتُ أنه حتمًا من وحيها هي.. أمسكت بأناملها ورفعتها إلى شفتي وقبلتها قائلاً:

– أنا آسف..

تطلعت إليّ بدهشة، من ثمَّ احتلت علامات الاستيعاب ملامحها فابتسمتْ بمودة جعلتني أكثر ندمًا وهمست في أذني:

– أنا نِفسي ف آيس كريم..

أدركت أنها تدرأ حرج الاعتذار عني.. وتسامحني دون جدال أو عتاب؛ فوددت لو كان بمقدوري أن أبدلها عينَيّ دون عينيها لأعوضها عما بدر مني وليكون جزءًا من حبيبتَيّ بداخلي لأحبها بطريقتها في حبها لي!!

كانت تجذب يدي لتحثني على السير وبعينيها أجمل ابتسامة لأجمل عيون من الممكن أن تحتل قلبي ما حييت.. سواء كانت تحت وطأة عوينات ضخمة قاسية.. أو لم تكُن!!

الأحد – 20112/3/11 – 3:46 مساءً

- (نبيل) طلَّق مراته..

قالتها، ومن ثَمَّ أمسكت بشفتيها لتعتقل ما بقي من الحديث في حلقها.. ارتجف جفناها فبللا رموشها العلوية بقطيرة من دموع أبت أن تنحدر فتفضح صاحبتها.. رفعتْ عينيها، ومن ثَمَّ خفضتهما، وأخذتْ أنفاسها تتقطع بانفعال أيقنتُ أنه يُغبطها..

لم يكن حديثها موجهًا إليّ من دون الغير.. ولكنه ضل طريقه إلى أذن زميلتها فسقط بحوزتي..

أدركتْ أن الفتاة لم تنتبه لكلماتها.. فجرّتْ قدميها واتجهتْ لمقعدها لتستقر عليه، وأصابعها ما تزال ممسكة بشفتيها.. فنبهتْ ذاكرتي التي لا تزال هي الأخرى ممسكة بتفاصيل ذكريات بغيضة لحدوتة مسيلة للدموع كانت هي بطلتها..

زفرتُ بضيق لعلّي أهرب من سيلان تلك القصة المهترئة. ولكن الأحداث تحدَّتني بوقاحة؛ فتراصت كل صورة منها خلف الأخرى مكونة شريطًا منتظمًا.. كل قطعة منه مرتبة حسب تاريخ ومكان وقوعها..

رفعت رأسي لأطالع الفتاة من جديد، فوجدتها قد هدأت ظاهريًا.. مع تأكدي التام بحدوث زلزال رهيب بداخلها، يوازي في قوته وتأثيره هذا الآخر الذي حدث منذ سبع سنوات، وبدأ تمامًا بعبارة كتلك التي صرَّحتْ بها منذ قليل، ولكن مع فروق بسيطة.. كشخص القائل والمضمون ذاته!

- (نبيل) خطب!!

حدقت كل العيون حينها بصاحبة القول.. إلا أنا؛ فقد كنت أتأمل وقع العبارة على (غادة)..

فـ(غادة) تحب (نبيل).. و(نبيل) أحمق لا يدرك هذا؛ لذلك فقد انطلق ليرتبط بغيرها.. إلى هنا كان من الطبيعي أن ترصع الأحداث بكلمة النهاية ويسدل الستار.. إلا أن (غادة) رفضت أن ترفع راية باللون الأبيض أبدًا.. أولاً لأنها لم تشأ أن تستسلم.. وثانيًا لأن (نبيل) كان عاشقًا للون الأسود.. فكان هذا هو محور خطتها، وقلب هجومها..

الأحمق يحب الأسود فانطلقت تحيط ذاتها بكل ما هو أسود ابتداءً بملابسها وانتهاءً بدبّاسة المكتب.. المغفل يعشق موسيقى الراب فباتت تهديه أسطواناتها وتتابع أخبار نجومها عن كثب، على الرغم من ضعف إنجليزيتها وركاكتها..

"هو يعشق هذا فتفعله.. هو يمقت هذا فتكرهه".. بات هذا شعار حملتها على (نبيل)!!

وقس على ذلك كل شيء آخر كان باستطاعتها أن تقلده فيه لتلفت انتباهه لتقارب الأفكار الزائف بينهما، فأصبحت نسخة سوداء باهتة منه.. وما زاده هذا إلا جهلاً.. وما زادها هذا إلا مثابرةً يائسة..

سبع سنوات ظلت تتحول فيهن إليه بانتظار أن يلحظ فيها ما ليس بزوجته.. ولأنه أحمق قد كُتب عليه أن يمكث بحماقته ما شاء الله له أن يمكث؛ فلم يلحظ أي شيء بها سوى أن اسمها (غادة).. ولو أنها دققت في معايير اختياره لشريكته لأدركت أنه أتفه من أن يُحَب.. وأنه أبله من أن يُدرك هذا..

- (نبيل) خطيبته شامية..

هذا هو كل ما عرفناه عنها.. ولن أستبعد أبدًا أن يكون هذا أيضًا هو كل ما عرفه (نبيل) نفسه عن زوجته.. بالإضافة طبعًا إلى بعض الكلمات من لهجتها.. أغلبها كانت مصطلحات لأطعمة مشهورة!!

ولأنه النموذج الأكبر للحماقة والاستغلال؛ فقد استغرق انفصال زوجته عنه سبع سنوات كاملة!! لم يكن طلاقًا عاديًا.. فقد كان (نبيل) هو

أول رجل "مخلوع" أصادفه في الحياة الواقعية.. أي أن زوجته أعطته كل ما تملك لتتخلص منه!!

كيف لكِ يا (غادة) أن تحبي شخصا مثله؟! بل وتنتظري كل هذا على أمل أن يستيقظ يومًا ليلقي عليكِ بتحية الصباح.. أي أحمق ذلك الذي يزرع دنياه بحياة غيره؟ أي أحمق هذا؟!

ظل السؤال يتردد بعقلي لوقت ليس بالقليل.. حتى انتبهت إلى أن أحدهم يهز كتفي فرفعت رأسي إليه فإذا به (صلاح)، أكبر الزملاء سنًا:

- بمناسبة الجواز والطلاق يعني.. إلا قل لي يا أستاذ (عمر).. معلش يعني لا مؤاخذة في السؤال أنا زي أخوك الكبير.. يعني.. حضرتك ما اتجوزتش لحد دلوقتي ليه؟

ما إن استقبلت أذنَيّ السؤال حتى أعطت عينَيّ الإشارة بالنظر إلى (غادة).. تأملتها من جديد.. وكأنني أوكل لها بالإجابة؛ فهي الإجابة ذات نفسها وشخصيًا!! أدرت وجهي إليه مسرعًا حتى لا يدرك ما أخشى أن يدركه.. وأجبته بجملة مقتضبة عن النصيب والقسمة..

- صباح الخير..

ها هو ذا البطل المخلوع قد وصل.. انتفضت عيون (غادة) في لهفة..

ولكنها تشبثت بإطار مكتبها كي لا تصير أضحوكة الحاضرين للقرون القادمة.. لم يكن أحدهم يعلم شيئًا من أمرها على حد اعتقادي.. وما لديّ أنا كان حصيلة لأحداث ووقائع ربطتها ببعضها وقمت بتحليلها..

أخذت تنقر على سطح مكتبها بأظافرها الدقيقة، ومن ثم حسمت أمرها وقامت متجهة إليه:

- إزيك يا (نبيل)؟.. عامل إيه دلوقتي؟

نظر إليها بتحفز غريب ونهرها قائلاً:

- واحد طلق مراته.. هيبقى عامل إزاي يعني.. مزأطت؟ مبسوط؟ منتشي؟ إيه الأسئلة الغبية دي؟!

التفتت إليه أعين الجميع.. والتفتوا لـ(غادة) التي انسالت دموعها لتقهرها.. وانسحبت من أمامه دون أدنى همسة منها.. فقمت من مقعدي ببطء وتوجهت لمكتب (غادة) وسحبت كومة من الملفات ثم توجهت إليه فألقيتها على مكتبه وأردفت بنبرة باردة:

- شغلك تعمله بنفسك.. ماحدش هنا هيشتغل عشان إنت تقبض..

فتح فمه ليرد عليّ ولكنني ألجمته بعبارة أخرى:

- ويارَيت ما تنساش إني المدير على القسم ده.. يعني مدير عليك..

وعايزك تتأكد إن سلوكك في العمل هيتكتب بيه تقرير ويوصل لفوق..

قلتها وأدرت لـه ظهـري.. وألقيـت نظـرة خاطفـة عليهـا، فوجـدت بعينيها امتنانًا حزينًا، وخيبة أمل تبلغ سبع سنوات من العمر وتزيد!!

فلقد كانت تعلم أني أعلم.. ولكنها لم تكن تعلم أني أعلـم أنهـا تعلـم أني أعلم!!

فعلاقتي بها هكذا كانت.. تمامًا كتلك العبارة.. معقدة وغامضة، ولا أمل فيها..

أمرتُ الكلَّ أن يعود لعمله ووقفت بجوار مكتبي أفكر في السؤال الذي طرحته على نفسي منذ قليـل: "أي أحمـق ذلـك الـذي يـزرع دنيـاه بحيـاة غيره؟".. التفتُّ إلى (غادة) فوجدتها في مرحلـة احتـضار مـضنية.. فأشـحت بوجهي واتجهت لـ(صلاح):

– كنا بنقول إيه يا أستاذ (صلاح)؟ إنـت كنـت بتقـول حاجـة عـن الجواز..

فالتفت إليّ بدهشة سارع بإخفائها وأجاب:

– آه..

ترددت قليلاً، ومن ثمّ قلت وكأنني أمازحه:

– إيه.. عندك عروسة كويسة؟!

تهللت أسارير الرجل وانبرى يتحدث ويثرثر عن مناقب شقيقة زوجته.. وكيف أنها "طباخة بريمو"، و"ست بيت عشرة على عشرة"..

لم أنتبه كثيرًا لبقية حديثه.. كل ما همني لحظتها كان "أنا"، وقراري بالحياة، وإصراري عليه، وتفكيري في إمكانية أن تحتل أخرى مكان (غادة) بنفسي.. كل ما يتطلبه الأمر هو أن أشاء.. فقط أن أشاء..

لقد أحببت (غادة) ولسنوات طوال.. ولكنني أرفض أن أحتضر وفي عينَيّ دموعها.. أو حتى ابتسامتها..

بينها.. وبين تلك.. وبيني أنا أيضًا

- أنا بنكّد عليك كل شوية يا (خالد)؟!..

قالتها بتعجب مذهول من بين دموعها أتبعته بصمتٍ وجيز، ومن ثم أضافت بإصرار أوجسني:

- طب ربنا يرزقك بواحدة تنكّد عليك في كل وقت وكل ساعة حتى وإنت نايم.. عشان تعرف يعني إيه نكد بجد!!..

كنت أعلم بل أحفظ عن ظهر قلب كل شيء يتعلق بها وبطباعها حتى سكناتها وإطراقاتها.. إلا شيئًا واحدًا فقط جهلته ولم أستوعبه إلا بعد تجربة عذابٍ مريرة.. ألا وهو أن دعواتها مستجابة.. خاصة تلك الأخيرة!!

* * *

"أنا إنسان يتربع على قمة هرم الإهمال ويحتكر أسهم اللا إحساس في بورصة عديمي المشاعر".. أقنع نفسي بهذا في كل لحظة من كل يوم يمر عليّ لأن هذا هو السبب الوحيد الذي يفسر ما تصفني هي به..

أعتذر أو لا أعتذر فأنا مخطئ.. أهتم أو لا أهتم فهي غاضبة ثائرة.. ولكن دائمًا وأبدًا هي جميلة جميلة جميلة.. بل فاتنة بإجماع علماء الجمال.. أذكر نفسي بتلك الصفة دومًا كي أظل أحبها.. وكلمة "أحبها" تعود على

الصفة لا هي، والملامح لا هي..

* * *

شيء غريب كان يربطني بها.. لا محسوس هو ومحسوس في الوقت ذاته.. ما أعنيه هو ما ستفهمه من سؤالي هذا: "هل قابلت فتاة في حياتك بأكملها تهتم بأحوال خالة ابن عم زوج جارة صديقك لأنها تحبك؟!".. هل تفهم ما أعني؟ هي كانت كذلك وأكثر.. كل شيء من حولي كان يتغير للأفضل أو للأسوأ.. أناس عرفتهم من ثم فقدتهم أو فقدوني هم.. أشياء خسرتها وأخرى اكتسبتها.. كل شيء وأي شيء كان قابلاً لمبدأ التغيير والإحلال.. إلا هي.. كانت راسخة بجذور من فولاذ أينما هويت أو علوت أجدها تثبت قلاعها على يميني.. وكنت أنا دائم التأفف كثير التذمر على أشياء لا أكاد أتذكرها من شدة ضحالتها.. وأعترف أنه عندما توقد أصابعك شموعًا لمن تحب فإنه –إن كان مثلي– سيتذمر لأنك لم تشعل النيران ببقية جسدك من أجله وسيملأ الدنيا صراخًا ونواحًا..

أنا أحمق مع مرتبة الشرف لأنني لم أدرك أن أكثر ما يؤلم بالحب هو التنازل.. إما تنازلك عن كرامتك.. أو تنازلك عن شخص يحبك!!

* * *

لكل شيء حدود أو مدى أو نهاية أو أجل.. إلا ما تفعله.. أعتبر

نفسي بمسرحية تتكرر كل لحظة من دقائق حياتي.. لا شيء يوقفها فلا شيء يعلو فوق صوت المعركة.. سئمت المجادلة فتوقفت عنها فازداد صراخها.. عاودت الجدال ثانية فسبحان الله ازداد صراخها أيضًا.. إن أغلقت الجوّال اتصلت على هاتف العمل.. وإن غادرت العمل.. حدثت والدتي فأعود للبيت لأجد الفصل الثاني من المسرحية.. أفتح الجوال كي أحصر المعركة بيننا.. فأغفو وهي تصرخ وأصحو على صراخها! لأدرك أن دعوة (رنا) قد تحققت.. إنها حقًا وحرفيًا "بتنكّد عليّ حتى وأنا نايم!!"..

* * *

عصرت خلاصة ذكرياتي وما مضى بي كي أتذكر سبب تلك المشاحنة البغيضة التي أدت بي إلى ما أنا عليه الآن.. وعندما وجدتها تمنيت أن أنهي حياتي بأرخص سم فئران صيني منتهي الصلاحية.. وما حدث حينها كان كالآتي..

كنت في رحلة صيفية مع بعض المعارف ولتجنب منغصات العمل قمت بإغلاق المحمول واتكلت على أن أحدث (رنا) عندما أعاود الفندق ولكن ساعات الحظ لا تعوض، كما يقولون، فسهرت لفجر اليوم التالي، ومن ثمَّ سقطت نائمًا على السرير بمجرد رؤيته عند عودتي؛ فاستيقظت في حدود الخامسة مساءً.. أدركت أنها حتمًا قد جُنّت من القلق عليّ فسارعت بفتح

المحمول والاتصال بها فجاءني صوتها باكيًا صارخًا.. كنت مقدرًا لحالتها ولكنني لم أقبل أن تصرخ بي مهما كان السبب فنهرتها فازداد صراخها.. كانت صاحبة كبرياء عليّ على الرغم من حبها الشديد لي.. استمر الجدال نحو ثلث الساعة أو ما يقارب –وهو بالطبع شيء لا يذكر للمعدلات القياسية التي أحققها مع (منة)– وانتهت بدعائها عليّ وكلمة سلام!! وتيييت تييت تييت تييت.. أغلقت الخط.. أحنقني ما فعلت على الرغم من أنني كنت أقدر تمامًا ما تشعر به.. وعلى الرغم من أنني ابتعت لها الكثير من الهدايا قبل عودتي للمدينة فإنني لم أقدم لها شيئًا منها!! كان بداخلي شخصان.. أحدهما يحبها، والآخر يحبني.. فانتصر الأخير على الأول فخسرتها.. ليس لهذا الموقف كانت خسارتي لها فقد تناسته الأيام ولكن لازدياد لامبالاتي على الرغم من اهتمامي وحبي لها.. اللذين لم يظهرا إلا قليلاً!! أطالع ما أنا فيه الآن فأتذكرها في كل لحظة.. أنظر إلى (منة) فلا أرى العيون الزرقاء الواسعة ولكن أرى عيون (رنا) البنية الحنونة.. يأتيني صراخها فأسمع (صباح الخير يا خلودي) تزمجر؛ فأبتسم.. تصفع الباب خلفها فأتنبه أنها قد رحلت.. ولم تعد بعد.. وأكاد أبكي لولا كبريائي..

* * *

(منة الله).. أو (عقاب السماء) كما أدعوها بيني وبين نفسي بالطبع؛

فأنا لا أنوي الموت بطحًا بزجاجة عطر باهظة الثمن دفعت أنا تكلفتها.. لا أنكر أن جمالها بالمسطرة وهو ما دفعني للارتباط بها بعد (رنا).. كلا لست من أولئك الحمقى الذين يسعون للجمال كغاية مطلقة ولكن حالتي كانت مشابهة لذلك إلى حد ما!! بعد انفصالي عن (رنا) كنت مشتتًا تمامًا.. كنت أبحث عنها في كل شيء حولي إلا فيها.. لم أشأ معاودة ما كان فسعيت للتعويض عنه.. ليس لها مثيل فبحثت عن بديل.. وما يلهيك عن الجوهر هو المظهر فنقبت عنه بنهم وشراهة؛ فكانت النتيجة (منة).. دمية بديعة أو "باربي" كما أدللها ولا تفهم هي أنها إهانة لعقلها المتواضع.. كنت بحاجة إلى صدمة كهربائية "أتنح" فيها لتنسيني ما فرطت به.. تمامًا كالطفل الذي يبكي لجوعه فتلهيه بلعبة تصدر أصواتًا وما هي بطعام.. لا شيء يربطني بـ(منة) سوى خاتم في يدي اليمنى عليه اسمها وتاريخ أتمنى حرقه من عمري.. وكل شيء يلحمني بـ(رنا) ويفصلنا ذاك التاريخ وقرينه الأحمق.. أراك تتساءل "لماذا لا أرفع مأساتي بنفسي؟"، فأجاوبك لأن (رنا) ترفضني تمامًا.. قد أتنازل عن الأخرى وسأفعل حتمًا.. ولكن ماذا بعد؟ أتذكر عند انفصالنا أنني لم أبدِ أي اهتمام لما حدث على العكس تمامًا كنت أذهب لعملي في الصباح وأتنزه في المساء وأضحك وألهو وأتسامر على الرغم من انهيار كل محتوياتي الداخلية.. أما هي فانزوت وذبلت كما علمت.. وعلى الرغم من هذا

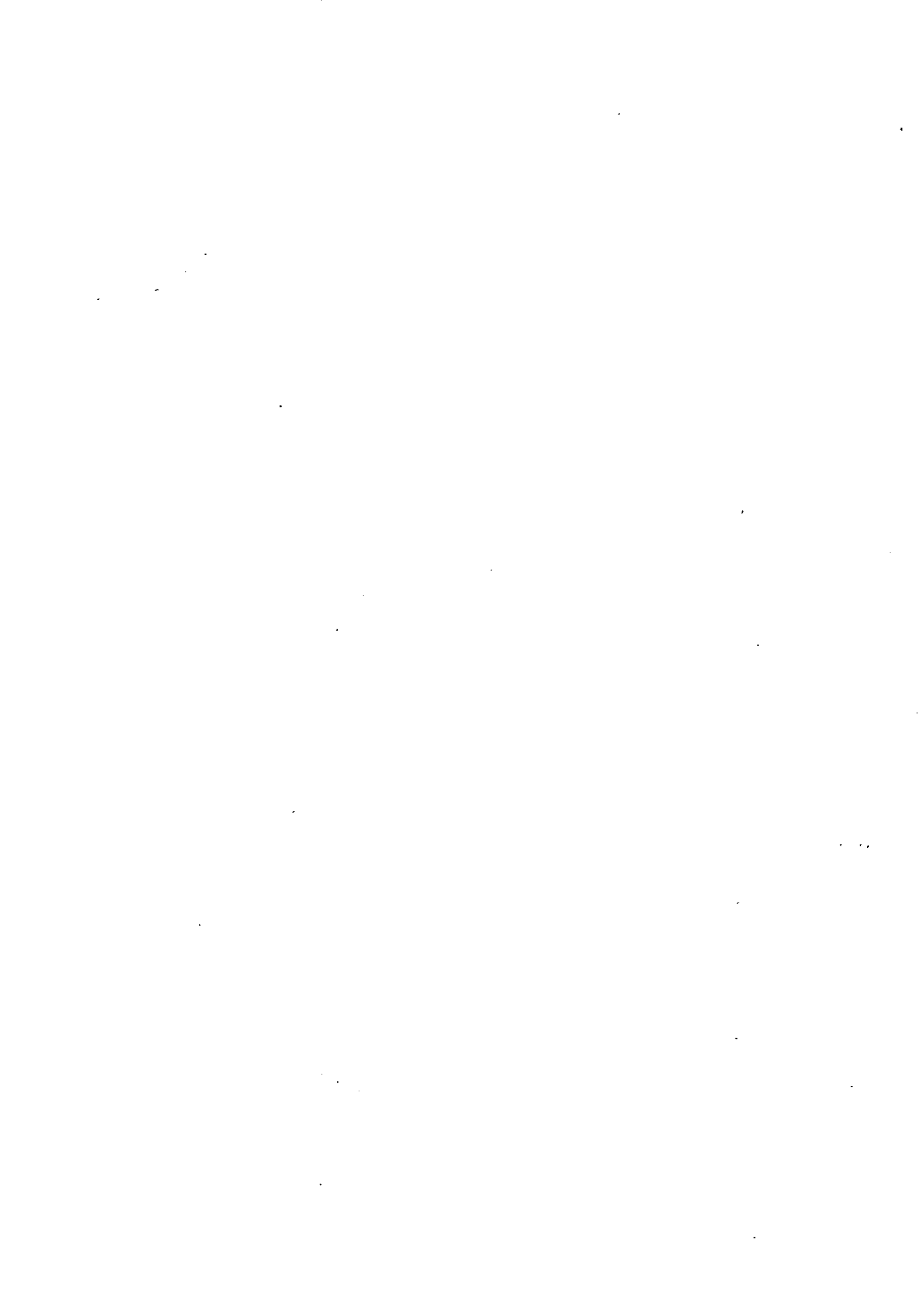
تعافت هي مني مع الأيام.. ومرضت أنا بها بمرور الوقت.. لم أسمع منها كلمة الرفض وإلا مت بلحظتها ولكنني كما قلت لك كنت أحفظها عن ظهر قلب..

* * *

في بعض الأحيان تكون الوحدة نعيمًا إذا ما كنت بجهنم سالفًا! لقد انفصلت عن (منة) إثر مشادة كلامية بيننا بسبب وصفي لصديقتها "بالجوفاء" لأنها تركت خطيبها لعدم استخدامه للـ"جيل" أو شيء من هذا القبيل.. صدقني إن قلت لك إنني لم أعلم كُنْه مشاعري حينها لأنها كانت مزيجًا من الارتياح والحزن وصرخات الحرية.. لم أبغض الفتاة يومًا ولكنني أبدًا لم أحبها على الرغم من أنني اجتهدت اجتهادًا مذهلاً لأفعل ولكن بلا أمل.. كنت أهاديها بأشياء ثمينة في كل الأوقات وبدون مناسبات.. وكنت أقضي معها الكثير من الوقت.. ولكن لم ينجح شيء للربط بيننا.. ما زلت أعشق (رنا) ولكن "ماذا إن قالت لا أريدك؟".. لا أستطيع الاعتذار إن كنت أشك في قبولها له ولي.. أصحو من نومي على كابوس ارتباطها بغيري فيعكر حياتي لأيام ولكنني أقف دون التحرك تجاهها.. أفتقد حياتي بها وأريد عودتها.. أحبها حقًا.. ولكنني أفضل كبريائي عليها.. أنتظر كالمتسول أن يعيرني أحدهم عزيمته وبعضًا من الشجاعة لأتوجه إليها راكضًا معتذرًا عما

فعلت ولكن كرامتي تذلني لذاتي!! أتأمل دعوتها الآن فأجد أن النكد الأبدي هو عدم وجودها بحياتي.. وليس وجود غيرها بجميع مهاتراته.. أتمنى وآمل ولكنني لا أسعى ولا أتحرك.. فأدعو الله أن أتغير.. وأنتظر أن أفعل..

الاثنين – 18 أكتوبر 2010 – الساعة 11:30 مساءً





-الليلة يا عمدة!! ..

-يعني هي حبكت؟!! ..

-الليلة!! .. سناء جميل وصلاح منصور

من فيلم الزوجة الثانية



كوني امرأة

تنبيه: هذا العمل يعتبر خطرًا على عقول ونفسيات الرجال فلا أنصحهم بالقراءة بتمعن..

تنويه: للانتقام مذاق ممتع.. يفتقده الضعفاء..

ملحوظة: الانتقام مش عيب على فكرة..

مناشدة: أيا رجل.. أبوس إيدك.. تفهم كوني امرأة.. حاول يعني..

إهداء: إلى توأمي (هبة).. سند الحياة مجسَّدًا في فتاة.. مهما أسأت أنا اعتبرْتِني دائما أفضل ملاك كان.. وخلقتِ لي الأعذار خلقًا..

* * *

– حرقتْ دمي بنت المقفَّعة!! أنا؟! أنا تقول لي you've gained wait و you should watch what goes into your mouth؟! أنا؟! أنا؟! أنا تخنت يا (دينا)؟!

– لا يا حبيبتي والله ده إنتِ مزة المزز..

قالتها (دينا) وأخذت تدفع الهواء لوجهي بواسطة مجموعة أوراق كانت بيدها فتخيلت نفسي وكأنني (تايسون) وقد هُزم في الجولة الأولى.. من

ثم قفزت تلك الحرباء إلى مخيلتي فتصورت نفسي أجثم فوق جثتها وأهديها مجموعة صفعات بمقدور كلٍ منهن أن تكتب رواية مطولة عن ذاتها.. ألا تبًا لك أيها الخيال فما كان منك إلا أن زدتني غيظًا لعجزي التام عن تطبيقك!!

عادةً، في مثل تلك المواقف لا أهدأ حتى أُسدي للخصم جزيل القابل عن تعبيره.. ولكنني ولأسباب تتصل بكوني "باحاول يبقى قلبي أبيض" فقد أجبرت طموحي في الانتقام على الخرس، فـ(ياسين) دائمًا يذكرني بأن "العفو من سمات الصالحين"، وأنا أنبهه إلى أن الرسول قال "عند المقدرة"، ولكنه يدعي الصمم حينها ولا أعلم لماذا!! وما يثير ألمي حقًا هو اعتقاده بسكون شيطان ماردٍ بداخلي.. يدفعني لإيذاء مشاعر البشر فقط لأنهم لم يحسنوا اختيار الألفاظ أو لأن ما يقولونه لا يعجبني.. وهو لا يدرك أن أكثر ما يقتل المرأة هو استهزاء أحدهم بأنوثتها.. أو وجود امرأة أخرى تفوقها جمالاً!! الأمر جدّ خطير ولكنه لا يستطيع بعقله الذكوري أن يتفهم ذلك.. فأنوثة المرأة رأسمالها.. وكل أنثى أخرى تدعي أنها تتفوق عليها تعتبرها عدوًا من الدرجة الأولى.. يفكر هو بعقله لا بمشاعري أنا.. يبسط الأمور إلى حد التتفيه منها ويسألني ببراءة تثير غيظي:

– وإيه يعني لما واحدة تقول لك "إنتِ تخنتِ ومحتاجة تخسي".. بتنصحِك عادي، الحق عليها يعني؟!

أحاول مرارًا إفهامه أنها تنكل بي ولكنه يبارزني قائلاً:

– يعني كنتِ دخلتِ جوّاها وعرفتِ نيتها؟! يا شيخة حرام عليكِ بقى..

وهنا يأتي دور محاولاتي البائسة بإقناعه أن بداخل كل امرأة "رادارًا" يلتقط كل محاولة للتعبير عن الحقد أو الحسد أو الغيرة أو الكراهية، ولكنه لا يستوعب البتة.. أحاول أن أشرح له عن طريق ضرب الأمثلة فأصطنع مواقفَ على غرار:

– يعني لو واحد صاحبك.. بلاش صاحبك نقول زميلك.. قال لك إنتَ –سوري يعني ف الكلمة– غبي.. هيبقى إيه رد فعلك بقى إن شاء الله؟! هتقول ده نيته كويسة ومش قصده إني غبي ده أكيد عايزني أنمي قدراتي الذهنية؟!

فيكون رده على الفور:

– ثانية واحدة معلش.. ثانية واحدة.. يعني لما واحد "يششتمني" ويقول لي إنتَ غبي، اللي هي شتيمة صريحة وملهاش أي ترجمة تانية غير كونها شتيمة، هيكون زي واحد بيقول لي إنتَ تخنت ومعلش يعني حافظ على جسمك شوية؟! نعم بقى يا (ندى) في إيه؟

أحتضر شرحًا بأن ذاك مثل تلك بالنسبة لي، ولكنه لا يستوعب.. ويصرعني اتهامًا بأنني لا أغفر هفوات الناس وأسيء فهمهم وأتوقع الأسوأ منهم.. فتهزمني دموعي لعدم وصولي لمركز "الفهم" في عقله فيزداد حنقًا ويضيف لقائمة الاتهامات كوني "نكدية".. و"بعيّط من غير سبب".. ولهذا ولحبي الشديد له ولرغبتي في رؤية ذاتي "ملاكًا بجناحين" في عينيه فقد أقلعت.. إلى حدٍ ما.. عن التعبير عن رفضي لما لا يرضيني، ويتجسد هذا في ثلاث خطوات متتالية ألا وهي: الصمت.. الابتعاد عن موقع الحادث.. وعدم إخطار (ياسين) بما كان "كما كان بالضبط".. ولكن قلبي لا يستسلم.. وهذا الأخير يا حبيبي لا أقدر على إخماده صدقني..

زفرتُ بكامل طاقتي فاعتقدت (دينا) أن هذه صفّارة الجولة الثانية فأخذت تجبر الأوراق على لطم بعضها بعضًا لعلي أجد في ذلك تفريغًا لغضبي.. ولكنني أشرت لها بيدي أي "كفى"، فأقلعتْ عن فعلها وحملقت بوجهي وهي تتفحص عينَيّ وهما تزدادان ضيقًا.. اعتدلتُ في جلستي فأرخيتُ عضلات ظهري المتيبسة ومن ثمَّ قرَّبتُ فمي من وجه رفيقتي وأردفتُ بهمس:

- (دينا)..

- إيه؟

- البت دي لازم تموت النهاردة!!

رفعتْ حاجبها الأيسر استفسارًا.. لا عن المغزى ولكن عن الطريقة.. "شريرة (دينا) دي"..

انتفضتُ ففتحتُ حقيبتي ومن ثمَّ التقطت "عدة" الماكياج وتوجهت لدورة المياه.. أضفت ما يمكن إضافته باحتراف متعجل وعدت حيث كانت تنتظرني (دينا) بذات اللهفة.. فلمعلوماتك الخاصة مثل تلك "الميدوسا" عادة ما يكون لها الكثير من الأعداء الذين ينتظرون سقوطها.. فقط ليتراقصوا على بقايا جثتها مرددين عبارات حزينة على شاكلة: "يا عيني.. كانت بنت حلال والله"..

- بقول لك إيه.. مفيش مكسب من غير تضحية.. صح؟

- معلوم..

- بصي.. أنا نويت كدا، والنية لله، أجيب لها صرع وشلل في نفس الوقت.. ومتسأليش إزاي إنتِ هتشوفي بنفسك..

- يا جامد يا جامد.. يا جاااامد إنتا..

- أيوه كده شجعيني..

- أنا وراك يا معلم..

قرأت المعوذتين وصورة الإخلاص ومن ثمَّ فردت ظهري وأمرت قدمَيّ لتخطوا كما تخطو "الموديلز".. وقفت في منتصف الغرفة وتنحنحت لينتبه إليّ الجميع:

– يا بنات أنا عايزة أقول لكم على حاجة..

غادرت عيناها محجريهما لتستقرا أمامي مباشرة.. وأعتقد أن أغلبهن قد قمن بذات الفعل ولكن جل اهتمامي المستتر كان مسلطاً عليها هي دون سواها..

– إن شاء الله يعني.. من دون مقاطعة.. خطوبتي هتكون يوم الجمعة، مش الجاية اللي بعدها.. أنا والله نفسي تكونوا كلكم معايا بس يعني هي حاجة ع الضيق كده في البيت..

انهالت علي عبارات كـ: "ربنا يسعدكم ويتمم لكم بألف خير".. بينما قالت هي "مبروك" باحتضار حزين أسعدني بحضوره.. وترجمة عبارتها بالمناسبة كانت: "يارب تولعوا انتوا الاتنين في ساعة واحدة".. أدرت ظهري لها وبعيوني فرحة انتصارٍ تتحدى حقد الكون بأسره.. وفي أذني صوت "مدحت شلبي" مهللاً: "يا نهار أبيض يا نهار أبيض.. الله عليك يا حبيب والديك"!!

قفزتُ إلى مقعدي حيث أغرقتني (دينا) بالتهاني والقبلات.. لكَم تجيد التمثيل هذه المخلوقة.. فهي تعرف بتفاصيل الموضوع.. ومن قبل أن يبدأ بعقود أصلاً!!

التقطت هاتفي وقمت بالضغط على اسم (ياسين) فجاءني صوته متعجلاً:

- أيوَه يا حبيبتي..

- بقول لك يا (يسووو).. أنا قلت لصُحابي ف الشغل على معاد خطوبتنا.. عشان بس متقلش عليَّ سمّاوية وخايفة م الحسد والحاجات الغريبة اللي بتتهمني بيها دي..

- لا والله ده إنتِ حبيبتي.. أيوَه كده.. برافو عليكِ يا روحي..

قالها وعاجَل بإغلاق الخط لانشغاله بأعماله، بينما كنت أنا أحاول خفض ضحكاتي متصورة إياها ملقاة على الأرض تصارع الشلل والصرع.. في آنٍ واحد!!

الأحد - 2012/3/25 - الساعة 12:16 مساءً

الأول على الالتسي

أسندت رأسي على ظهر الأريكة وأغمضت عينَيّ المرهقتين من أثر متابعة المسلسل التركي عن إجبار.. سمعت خطوات زوجتي تسارع بعضها ففتحت مقلتَيّ قدر المستطاع لأبدو كالأبله المحملق في شاشة تلفازٍ خرب، ولو أن الأخير أهون بكثير من مشاهدة ذاك الفيروس المغموس بالـ"شووو" والـ"هيك"!!

– حصل حاجة؟! "مراد" قال لها إنه بيحبها ولا لسّه؟..

هاجمتني (شيرين) بتلك الأسئلة المؤثرة حقًا حتى كاد قلبي يتشقق من شدة انفعاله.. ألا تبًا لكِ يا "مراد".. المباراة قبل النهائية على وشك الرحيل وأنا مجبر على المكوث أمامك كالعبد الحبشي!!

– لا يا ستي لسّه..

– أمال هي شكلها متغير كده ليه؟

– يعني شكلها هيلحق يتغير في الخمس دقايق اللي رُحتِ تردي فيهم ع التليفون اللي هما أصلاً كانوا إعلانات؟!

– يوووووه.. أهو إنت كده.. بتفقد كل حاجة متعتها..

اعتبرت حديثها شيئًا من المديح كي لا تنشب حرب بيننا بسبب "مراد" وصديقته، وحوّلت مسار الحوار قائلاً:

– مين اللي كان ع التليفون؟

تنهدتْ بضيق، ومن ثم أجابتْ باقتضاب:

– أمك..

– "أمك!!".. يا بتاعة "المير دي ديو"؟!

قلتها لنفسي طبعًا فأنا لم أشأ أن نتجادل حول كيفية صياغة الألفاظ وأنها من الممكن أن تدعوها بـ"والدتك" أو "مامتك" أو "حماتي" على أسوأ تقدير إنساني.. ولكن لعلمي بحضور جوابها وأنها حتمًا ستريد مبارزتي بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد قال: ("أمك ثم أمك ثم أمك".. وكمان قال "أبوك"!!)؛ حتى تحصن نفسها إذا ما تطرق الحديث إلى والدي (رحمه الله) مثلاً؛ لذلك كله لم أرد أن أبدأ حوارًا تنهيه هي برفع ضغط دمي!!

– بتقول إنها هتعدي علينا بكرا عشان النهاردا هتبات عند (كمال) أخوك.. والله يا ريت لو تكمل عنده بقية الأسبوع.. (زَهرة) فاضية ومواراهـــ.. إيه ده إنتا قايم رايح فين.. أنا مش بكلمك؟!

أعرتها ظهري وأجبت وأنا أتجه إلى المطبخ:

– هاعمل شاي..

– طب اعمل لي نسكافيه معاك بس من غير سكر.. ولبن سكيمد مش اللبن المدهنن بتاعك ده..

أضفت السكر إلى الشاي وأخذت أدير الملعقة بـالكوب دون مـاء لأفـرغ انفعالي.. ومع دوران الملعقة دارت ذاكرتي بمتعلقاتها الداخلية فأخرجت لي صورة مغبرة كدت أنساها.. كانت الصورة لعائلتي: أبي وأمي و(كمال) وأنا.. كان أبي محاميًا مشهورًا.. "عبدالعزيز شداد"، إن كنت لا تعرفه فأنت حتمًا لم تكن بالوطن أيام مجده؛ فأبي كان أشهر محامٍ في العقد الماضي.. هل سمعت عن قضية "أمجد ضرغام" رجل الأعمال الذي اتُّهم زورًا بقتـل زوجـة الـسفير الأسترالي؟ هل سمعت عن المحامي الـشرس الـذي رجـت مرافعاتـه قاعـات المحاكم وجرائد الكون بأسره حين كشف عن تفاصيل مؤامرة رخيصة أوقعت بذاك الرجل لأسباب سياسية؟

هذا المحامي كان أبي.. لطالما أحببته وأغرمت بكـل مـا ردد وفعـل.. ومن أكثر ما توطن بعقلي كانت تلك المقولة له:

– بص يا ابني إنت وهو.. أنا هاقول لكم على حاجة تحطوهـا حلقـة في ودانكم.. حبوا زي ما إنتوا عايزين وعيشوا حياتكم.. بس ساعة الجواز أنا

ووالدتكم اللي هنقرر..

وعلى الرغم من نبوغه بالمحاماة وعبقريته فإنه تمنى دومًا أن يكون وكيل نيابة فمستشارًا.. ونمت بداخله تلك العقدة حتى تجلت في علاقته بي أنا وأخي (كمال).. فاختار لي (شيرين) زوجة.. ابنة المستشار (علي الدين الحسيني).. أنثى بكل ما تحمله الكلمة من معنى.. جميلة كشمس ترصع سماءً زرقاءَ.. رقيقة كثوب حرير منقوش (وصدقني أيام خطبتنا كانت تقول "طُنط زيزي" وليس "أمك"!!).. أما عن (كمال) فقد اختار له أبواي (نجلاء) ابنة عم (شيرين) ذات الأب مستشار المهنة أيضًا.. ولكن (كمال) ولأنه ضعيف الفهم سمين المخ فإنه لم يستوعب ما قاله أبي فرفض الزواج من الفتاة وقال لوالدنا:

- أنا باحب بنت تانية وعايز أرتبط بيها..

حاول أبي إفهامه أن الحب لا علاقة له بقرار الزواج.. وأن باستطاعته أن يعشق كما يشاء؛ فوالدي لا يحجر على حريته بالمرة ولكن الزواج شأن أسري وبما أنه كبير العائلة -أي أبي- فلا بد أن يكون الأمر بمشورته هو.. حاول مرارًا ولكن (كمال) تمسك بـ(زَهرة) ابنة جيراننا بالمصيف.. تأملت البنت كثيرًا فلم أجد ما يميزها عن بنات جنسها، أضف إلى ذلك أنه يكسوها بخار طفولي غريب يجعلها أشبه بـ"بو" بطلة "شركة

المرعبين" أكثر منها آنسة بالجامعة!! ولأن أبي محامٍ مغوار فإنه لا يخسر قضية أبدًا ولذلك فقد أخبر أخي بأنه إن أراد أن يتزوج بتلك الفتاة فعليه أن يتولى مسئوليات زواجه.. وأنه – أي أبي – لن يساعده كي يتحمل عقبات اختياره، وأنه وإن نجح في مهمته الانتحارية فسيوافق أبي على زواجهما.. جُنّت أمي حينها.. وقالت إنه حتمًا سيضيع ابنها البكر حينما يتركه يقع في براثن تلك الساحلية، ولكن عقل أبي كان يعمل بميكانيزم مختلف.. فمن وجهة نظره فإن (كمال) سيستغرق عقودًا ليصبح قادرًا ماديًا.. وإن الفتاة حتمًا ستقع في شباك "الزن ع الودان" وأن أهلها لن يتركوها بلا زواج حتى يتدبر فتى لا يعرفونه أصلاً أمور نفسه.. أضف لذلك أن (كمال) كان مغرمًا بدراسته ويريد أن يكمل الماجستير وحتمًا سينسى مع الأيام.. ولكن عزيمة أخي غلبت كل مخططات والدي في مقتل، فسرعان ما سعى (كمال) للحصول على عقد عمل بالخارج.. وسافر وقضى عامين ونصف العام.. ومن ثمّ عاد بعقد شقة صغيرة يذيله الكثير من الأقساط.. ودون ماجستير.. وعامان دراسيان من عُمر(زهرة) أهدرتهما لتنتظر فارسها.. صُعق والدي حينها ولم يكن بيده إلا أن يوافق.. ومن أجل مظهره الاجتماعي أمام زملائه ومعارفه عرض على (كمال) شقة كبيرة كالتي أقطن أنا بها.. ولكن أخي رفض وأصر على أن يكمل ما بدأه مع (زهرة).. أنظر إليه فأندهش لما فعل بنفسه.. لقد ضحى بكل شيء

مقابل فتاة كالدمية الصغيرة.. وأنظر لنفسي فأجدني لم أضحِّ بشيء قط، بل قد كسبت كل شيء.. ولو ظاهريًا على الأقل.. فأنا الآن أسيطر على مكتب والدي وأدرّ منه ما يكفيني للعيش الرغد حتى في قبري! ! أنظر إلى (زهرة) ذاتها فأجد أن أمي تعشقها أكثر من زوجتي بمراحل.. وترتاح لها وتحب مجالستها، فـ(زهرة) تعمل لتساعد أخي في نفقات الحياة أما زوجتي فتخلت عن العمل لتتفرغ للجيم ومشاهدة "مراد"! !

تقول (شيرين) إن (زهرة) تزداد كل عام كيلوجرامين على الأقل وأنها لا تنتبه لما تأكله ولا تمارس الرياضة قط.. وتقول أمي إن للفتاة روحًا صافية يعشقها كل من يعاشرها..

- "حسيييييين".. يلّا تعالى بقى المسلسل قرّب يخلص! !

تعرقل نداء (شيرين) بصوت أفكاري فأيقظاني من شرودي.. حملت الكوبين وذهبت إلى حيث تركتها آنفًا.. ناولتها كوبها فأمسكته من دون النظر إليّ وأضافت:

- على فكرة.. كل واحد هيغسل كوبايته.. إنتَ عارف إن "كيرا" إجازة النهاردا وبكره.. وأنا، باردون يعني، مش الشغالة اللي دادي جابها لك معاه من المول..

كانت تقولها بصيغة المزاح ولكنها عنيت ما غادر فمها..

– دادي!! آه.. الله يرحم دادي جوز "أمي".. هو السبب في اللي أنا فيه دلوقتي.. ربنا يسامحك يا بابا..

– بتقول حاجة يا (حسين)؟!

– لا، بقول لك أنا قايم أروح عند (كمال) أسلم على ماما.. وإنتِ بقى إبقي سلمي لي على "مراد" إذا فضيتي قبل "منير" ما يبدأ!!

فقط.. من اجل هذا

كل شيء في هذه الحياة يحدث لسبب ما.. قد يكون مبررًا، وقد يكون مبهمًا.. ولكن دائمًا وأبدًا هنالك شيئًا ما يدفعنا لنتحرك.. لنخطو خطوة للأمام.. لنسافر.. لنرحل.. لنقترب.. لنبتعد.. لنبدع.. لنختنق.. لنحيا.. لنموت.. ولنكون دائمًا ما نحن عليه.. مجرد بشر.

* * *

(ممنوع الانتظار قطعيًا)

أوقفت سيارتي تمامًا تحت تلك اللافتة.. عادة مصرية قديمة هي، وتعدُّ من القواعد غير المكتوبة؛ فعلامة "ممنوع الانتظار" تعني: "يمكنك الانتظار هنا".. شددت فرملة اليد جيدًا وأخذت أضع حاجياتي داخل حقيبة يدي بشيء من السرعة.. سقط الهاتف من يدي فانحنيت ألتقطه واعتدلت لأجد شرطيًا يقف بجوار السيارة وبيده دفتر المخالفات.. حاولت أن أبتسم ابتسامة ودودة لعلي أظفر ببضع دقائق من الانتظار..

– ممنوع الوقوف هنا يا آنسة.. مش شايفة العلامة؟

– أيوَه.. بس حضرتك هيَّ كلها ربع ساعة وهامشي على طول..

- ما ينفعش يا ست.. ما تجيبيلناش الكلام.. الباشا هيعدي كمان شوية ولو لقي عربية واحدة راكنة هنا يومي مش هيعدي على خير..

تطلعت إلى صف السيارات المتراص على امتداد البصر، ثم نظرت إلى الرجل نظرة تكاد تنطق لتقول (أمال دول بيعملوا إيه هنا؟).. فكرت مليًّا ودسست يدي داخل حقيبتي فأخرجت ورقة نقدية وضعتها ما بين أناملي ليراها الشرطي..

- هيَّ ربع ساعة بس ومش هاتأخر..

نظر إليّ وأومأ برأسه علامة على موافقته؛ فحشرت الورقة بيده شاكرة ذلك الفلكلور المصري العتيد.. أخذت أهرول عابرة شوارع وسط المدينة ذات الطابع الكلاسيكي القديم الذي يبدو وكأنه قد ترك آثاره على قاطنيها وروادها، واحتل أيضًا جزءًا كبيرًا من قلبي.. كان يقطن في تلك البناية التي كنت أقف تحتها مباشرة..

* * *

ألقيت نظرة سريعة على ساعة يدي فوجدت عقاربها تشير إلى الحادية عشرة إلا الربع.. زفرت بضيق، فلم أكن ممن يوصفون بدقة مواعيدهم ففكرة الوقت ذاتها تكاد تقتلني.. تأملت الباب الذي كنت أقف أمامه وابتسمت ابتسامة عريضة انتظارًا لذلك الوجه الذي كنت أتوقعه..

دققت جرس الباب وتراجعت للوراء بضع خطوات وانتظرت.. لا أحد يجيب.. مددت إصبعي لأعيد الكرة فسمعت صوت الرتاج ورأيت الباب يفتح ببطء وعلى وجه صاحبته علامات الغضب المصطنعة.. دفعت الباب لأرتمي بين أحضانها.. كانت تلك (داليا) أقرب صديقاتي إليّ وصندوق أسراري الأمين..

– إيه المواعيد البايظة دي؟

– معلش بقى يا (ديدي) الشوارع زحمة أوي وبعدين إنتِ عارفة.. أختك بتسوق على أربعين..

أطلقت ضحكة مرحة.. تلك التي أعشقها وبادرتني سائلة وهي تقودني إلى المطبخ:

– عاملة إيه يا بنتي؟

– الحمد لله..

ترددت لحظة قبل أن أفتح فمي لأسألها عن شيء ما.. فقدمت لي مقعدًا وأشارت إليّ أن أجلس بجوار الطاولة..

– أمممم.. وإنتوا بقى عاملين إيه يا (ديدي)؟

نظرت إليّ بطرف عينها ثم أجابت بخبث:

- أنا؟ أنا كويسة..

نظرت إليها بغيظ حيث إنها تعلم ما أرمي إليه.. فضحكت ضحكة عالية لمّا رأت تعبير وجهي الحانق:

- خلاص خلاص، لحسن يجرالك حاجة.. هوا كويس.. وبيسلم عليكِ.. وكان عايز يستـــــ..

بترت جملتها ومن ثم أطلت برأسها فجأة من شباك المطبخ الداخلي في حركة عنيفة لتصرخ في ذلك الكائن البريء الذي هو ابنها:

- ولد يا (حازم).. مش بتذاكر ليه؟ عارف أنا لو جيت ولقيتك في نفس الصفحة يومك مش هيعدي على خير..

ثم اعتدلت وأدارت وجهها لتنظر إليّ:

- الولد ده هيجنني.. ما بيذاكرش خالص وتالتة ابتدائي شهادة.. حاجة تقرف.. باموّت نفسي عشانهم ولا هما هنا..

اتجهتْ ناحية الموقد لتتابع الطعام الذي كانت تعده قبل حضوري.. لمحت في عينيها شبح دموع ما لبثت أن تداركت نفسها فعادت من حيث أتت.. ملت عليها فوضعت كفي على ظهرها برفق وسألتها:

- (داليا) إنتِ كويسة؟

بادرتني بابتسامة مصطنعة لم تستطع خداعي:

– طبعا كويسة.. حد يشوفك وما يبقاش كويس؟

– (داليا).. إنتِ مبسوطة مع (علاء)؟

ظهرت على وجهها أمارات الضيق وما لبثت أن أردفت:

– أهي عيشة والسلام..

– يعني لو كنتِ بس سمعتِ كلامي واتمسكـــــــ...

في تلك اللحظة اندفع نحوي جسد صغير احتضن خصري بكل قوته وبادرني هاتفًا:

– تنت (سالة)..

أي طنط (سارة).. احتضنت الصغير وحملته لأضعه على المنضدة فسارع بإخفاء شيء كان يحمله وراء ظهره.. قبّلته والتفتُّ لأمه كي أكمل حديثي معها:

– طيب (علاء) مريّحك يعني؟ كويس معاكـــــ..

هز الصغير كتفي فنظرت نحوه لأجد ذلك القناع المخيف على وجهه، فرسمت على وجهي علامات الخوف ممازحة إياه:

– يا ماااامي..

- أولّيكي يا تنت البعبع بيعمل إزاي؟ عوووووووووو..

أخفيت وجهي بكلتا يدي وهتفت من جديد..

- يا مامي..

قبّلته والتفتُّ مرة أخرى لوالدته التي كانت على ما يبدو تصارع حالة من الحزن سببها سؤالي.. فجزعت لذلك وتوجهت إليها وربتُّ على كتفها.. فنظرت إليّ وابتسمت قائلة:

- (سارة).. إوعي تبقي زيي في يوم من الأيام..

وعاودت النظر إلى إناء الطهي منهية بذلك حديثنا ومعلنة اكتفاءها بتلك الكلمات.. أطرقت لحظة وفهمت ما ترمي إليه هي؛ فما قالته لم يكن بحاجة إلى ذكاء خارق ليُفهم.. تنهدت تنهيدة حارة ثم وقعت عيناي تلقائيًا على ساعة الحائط المعلقة بالمطبخ.. وما أعلنته المذكورة لم يكن ليسرني فقد تأخرت على ميعاد الدرس كعادتي.. متعة أخرى سيحظى بها المحاضر في تلذذه بإذلالي حتى يسمح لي بالحضور.. قبّلت (داليا) والصغير في عجلة وانطلقت أشق طريقي إلى الباب محاولة إيجاد حجة لتأخري فلربما تقنع المحاضر..

* * *

– ما تنسوش تعملوا (كنترول إس) كل شوية عشان لو الكهربا قطعت..

نطقها المحاضر وأخذ يتجول في القاعة متفقدًا أحوال المتدربين..

– كنترول إس.. كنترول إس.. كنترول إس!!!!! بقالي ساعة بعمل كنترول إس والجهاز مش راضي يسيّف.. منه لله اللي اخترع البتاع ده.. ربنا ينتقم منه..

أخذت أتمتم بتلك الكلمات الحانقة وما لبثت أن سددت صفعة قوية للوحة المفاتيح أحدثت صوتًا مكتومًا، ثم عاودت المحاولة من جديد.. لم أكن حقًا من محبي أجهزة الحاسوب ولا من المتحمسين للتكنولوجيا من الأساس؛ فقد كنت أرحب بالحياة على أبسط أشكالها.. نظرت إلى لوحة المفاتيح مرة أخرى فلاحظت أن ظلاً خفيفًا يكسوها.. التفتُّ أنظر بجواري فإذا بالمحاضر يقف متأملاً ذلك المشهد المتكرر.. حاولت أن أبتسم معللة ما فعلته:

– أصل يا باشمهندس الجهاز مهنج من الصبح ومش راضي يسـيـ...

– باشمهندسة (سارة).. يا ريت تعدي عليَّ بعد المحاضرة ما تخلص..

(صبحنا وصبح الملك لله).. دارت تلك العبارة بخلدي فلم أكن مستعدة أبدًا لتلقي وابل من التقريع من أجل قطعة من البلاستيك.. ولم أكن مستعدة إطلاقًا للتعامل مع ذلك الشخص.. (محمد عبد السميع)، فأنا عن نفسي أخشى الاحتكاك به.. لا، لم يكن من ذلك الطراز المخيف من البشر.. ولم يكن مكشرًا عن أنيابه أبدًا.. ولكنك يمكن أن تطلق عليه لقب (وغد قديم) وتكون متيقنًا مع ذلك أنك قد ظلمت الأوغاد أنفسهم.. البعض أيضًا يطلق عليه لقب (ذئب)..

يحكى عن ذلك الرجل الكثير من الأشياء الغريبة.. وأكثر ما شد انتباهي حقًا هي تلك الرواية التي تزعم أنه قد أقنع جدته التركية بأن كلية الهندسة سبع سنوات، وأنه بعبقريته الفريدة قد اختصر تلك السنوات إلى خمس فقط ليحظى بسيارة من طراز الـ(بورش).. ولا عجب في ذلك؛ فما عرفته عن تلك المرأة هو أنها لا تزال تعتقد أن كلية الهندسة تدعى (المهندس خانة)!!

أنهيت ما أمامي في عجالة ولململت وريقاتي من ثم أخذت نفسًا عميقًا، وخطوت بضع خطوات مترددة تجاه باب القاعة حيث ينتظرني ذلك الوغد..

* * *

"إوعي تبقي زيي في يوم من الأيام"..

* * *

وقفت أمام الرجل مباشرة وانتظرت حتى ينهي المكالمة التي تلقاها على هاتفه الخاص ومن ثم أخذت أفكر في عبارات اعتذار مناسبة.. فما لبَث أن أنهى المحادثة حتى بادرته قائلة:

– أنا متأسفة يا باشمهنـــ..

– باشمهندسة (سارة).. إنتِ دخلتِ كلية الهندسة ليه؟

أدهشني سؤاله حقًا.. فلم يكن هذا هو نوع الأسئلة التي كنت أتوقعها منه.. حاولت أن أبحث في عقلي المرتبك عن إجابة مُرضية أو ربما كنت أبحث عن رد يذهله، ولكن ما خرج مني كان أعمق مما كنت أتوقع بكثير:

– عشان أبقى مهندسة..

قلّب ناظريه في أرجاء الفراغ ثم نظر إليّ مرة أخرى:

– طيب ما علينا من ده سؤال.. جاوبيني إنتِ ليه بتاخدي كورس الـ(فوتو شوب) ده؟

– عشان أي مهندس محترم في مجالنا لازم يكون عارف (فوتو شوب)..

أطرق لحظة ثم أخذ يهز في رأسه لبضع ثوانٍ، اعتقدت فيها أنه لن

يتوقف أبدًا.. نظر إليّ نظرة تحمل معنىً ما، فهمته فيما بعد، ثم فتح فمه ليقول شيئًا ولكنه عاد فأطبق شفتيه.. تطلّع إلى الحائط الذي كان يستند عليه وتنهد تنهيدة عميقة ثم عاود النظر إليّ ليقول:

- بصي يا (سارة).. أنا هاقول لك على حاجة.. إنتِ ممكن تعتبريها نصيحة.. وممكن تعتبريها كلام فارغ.. زي ما تحبي..

أطرق لحظة ثم سدد نظراته إليّ وأضاف:

- لو ما أخدتيش الحاجة اللي إنتِ عايزاها.. إوعي.. إوعي تاخدي حاجة إنتِ رافضاها.. عشان ما تبقيش خسرتِ كل حاجة..

حاولت أن أفتح فمي لأقنعه أنني أعشق مجال دراستي وأن اختياري له كان بمحض إرادتي.. ولكن النظرة التي في عينيه كادت تنطق مُقسِمةً.. أنا لست بغبي.. حقًا هو ليس بغبي.. وحقًا لم تكن الهندسة ولا الأرقام ولا الحسابات باختياري أبدًا.. رفعت رأسي لأنبئه بصحة تكهنه.. ولكنني لم أجده.. كان قد ابتعد..

هذا الرجل يستحق لقب "وغد" عن جدارة حقًا.. ولكنه ليس أبدًا بذئب.. كذب من قال ذلك عنه..

* * *

- إزيك يا (سارة)؟

انطلقت تلك العبارة من داخل قلبي لتستقر في أذني فالتفتُّ وأنا أعرف هوية السائل قبل أن تقع عيناي عليه.. كان ذلك (علي) شقيق (داليا) الأصغر.. احمرَّ وجهي خجلاً قبل أن أجيب على سؤاله:

- الحمد لله..

نظرت إلى ساعة يدي وبادرته سائلة:

- إنتَ الكورس بتاعك بيخلص الساعة واحدة.. إنتَ بقالك كتير مستنني؟

ابتسم وأجابني:

- ولا يهمك.. أنا أستناكِ العمر كله..

ابتسمت بدوري ومازحته قائلة:

- إنتَ قد الوعد ده؟

ضحك ضحكة قصيرة ثم عادت ملامح وجهه ترسم الجدية ليبادرني قائلاً:

- أنا قد كل حرف فيه..

* * *

حبيبي سكر مر..

طعم الهوى..

فرّق ما بين قلبين..

ما عدناش سوا..

– (سارة).. وطي البتاع ده وتعالي عشان أنا وبابا عايزينك في موضوع..

لم تكن تلك العبارة من العبارات المفضلة لديّ، فأنا لا أنتمي في هذا البيت سوى لتلك الجدران الأربعة التي تكوِّن غرفتي.. ولم يكن أبدًا النقاش الأسري البناء من تلك العلامات المميزة لعائلتي، فأنا شخصيًا أعتبر نفسي من طراز (جعلوه فانجعل) الشهير.. تمنيت في قرارة نفسي أن يكون الداعي خيرًا.. ولكنه لم يكن كذلك أبدًا.. توجهت إلى حيث أبوَيّ.. نظرتْ إليّ أمي وابتسمت.. تلك الابتسامة صادفتني كثيرًا، وخذلتني أكثر..

– بصي يا (سارة).. فيه طبيب متقدم لك.. وأنا وبابا شايفين إنه مناسب ليكي.. هوا عنده 32 سنة وأهله أطباء هما كمان.. عندهم بيت كبير في المقطم.. وخالـــــــــ..

لم أنتبه إلى بقية الحديث فلم يكن الأمر يهمني بتاتًا.. ولكنه كان

عاصفة ستهب على أيامي القادمة لا محالة.. نظرت إلى أبي مستغيثة فإذا بـه كما هو.. كما عهدته.. وكما رأيتـه دائمًـا.. كمـا كـان وكمـا سيظل.. يتـصفح الجريدة..

* * *

– إنتَ قد الوعد ده؟

– أنا قد كل حرف فيه..

* * *

– البعبع بيعمل إزاي؟ عووووووووووو..

* * *

شهدت أيامي تلـك نـضالاً فريـدًا.. حاولـت مـرارًا أن أشـرح وجهـة نظري.. حاولت أن أقنع أمي، وأبـي، بـأنني أريـد مَـن اخترتـه أنـا.. ولكـن مطلبي قوبل بالرفض.. قوبل بالسخرية.. قوبل بالتعنت.. ولـسببين لا أكثـر حكم على اختياري بالنفي.. أولهمـا أنـه لم يكـن اختيـار أمـي.. والثـاني أن (علي) قد اقترف ذنبًـا لا يغتفر.. وجريمة شنعاء استحق عليهـا النفـي هـو الآخر.. فـ(علي) لم يكن مهندسًا، ولم يكن طبيبًا كذلك..

حاولت أن أتماسك.. حاولت أن أقنع عضلات فمي بالابتسام.. حاولت أن أدعي عدم الاكتراث.. ولكن عقلي رفـض أن يظلـم قلـبي مـا تبقـى لـه مـن العمر.. فتوقف عن التفكير المنطقي، وأصدر إشارات إلى بقية أطراف جـسدي

بالتوقف عن العمل هي الأخرى..

ما أتذكره من تلك الأيام ليس بالكثير حقًا.. مجرد رتوش تركت خدوشها على ذاكرتي.. مجرد أصوات مختلفة.. لم أميز أصحابها.. ولم تكن لتعزيني في شيء.. فلم يكن صوت (علي) من ضمن تلك الذكريات..

- انهيار عصبي حاد..

* * *

- شلل في أطراف الجسد الأربعة..

* * *

- هوا مين (علي) ده؟

* * *

- يا حبيبتي يا (سارة)..

* * *

(ممنوع الانتظار قطعيًا)

* * *

حبيبي سكر مر.. طعم الهوى.. فرق ما بين قلبين.. ما عدناش سوا..

* * *

أين ذهب (علي)؟ تساءلت نظرات الجميع.. أين (علي)؟ تساءلت أنا..

كان قد رحل.. وتركني.. لأبقى مع المرض، ومقتطفات من ذكريات

كانت لي معه..

ولكنني التمست له العذر.. فما فعلته أمي به لم يكن ليوصف أبدًا بالترحيب..

- كرامته يا (سارة)..

هكذا عللت لي (داليا) موقفه لمّا رأت السؤال يطل من عينَيّ كل يوم.. لم أكن أبدًا لألومه.. ولم أكن أبدًا لأمقته.. فقد كان مجرد بشر اغتيلت كرامته!!

استعدت بعضًا من صحتي بعدها.. تركت المشفى ولزمت البيت.. فكان تفكير أمي حينها أنه ما دام (علي) قد رحل فلا مانع من التفكير في غيره..

لست بآلة.. هذا ما لم تفهمه أمي يومًا.. ولم تقتنع به..

* * *

- أهي عيشة والسلام..

* * *

- لو ما أخدتيش الحاجة اللي إنتِ عايزاها.. إوعي.. إوعي تاخدي حاجة إنتِ رافضاها..

* * *

(هشام).. كان هذا هو الاسم المدون على تلك الدبلة التي صارت تعتصر إصبعي.. لم يكن بالسيئ أبدًا.. على العكس تمامًا.. كان شخصًا ودودًا.. طيبًا.. مرحًا.. ومهندسًا.. تمامًا كما أرادت والدتي.. وكيف له ألا يكون.. أوَليس باختيارها هي؟

لا أزعم أنني كرهته.. ولكنني لن أكذب أيضًا لأقول إنني أحببته.. هو كان كل شيء جميل، إلا شيئًا واحد فقط لم يستطع أن يكونه.. لم يستطع أن يكون (علي)..

في ذلك اليوم خرجت أنا وهو وأمي لانتقاء فستان الزفاف.. أشارت والدتي إلى أحد الفساتين المعروضة وسألتني:

– إيه رأيك في ده يا (سارة)؟

– أي حاجة يا ماما اللي تشوفيه..

تصرفت كأن الأمر لم يكن ليعنيني.. فهل كان يعنيني حقًا؟! تركت أمي و(هشام) يتفقدان ما أمامهما من ثياب ووجهت بصري ناحية واجهة المحل الزجاجية.. أخذت أتأمل العالم الخارجي في شيء من الفتور.. رجل عجوز يحاول عبور الشارع دونما جدوى.. شاب يتحدث عبر هاتفه الخلوي وعلى وجهه علامات الانفعال الشديد.. بائع جائل ينادي على بضاعته.. لا جديد، إذًا، في عالم البشر.. كنت على وشك أن أدير وجهي إلا أن مشهدًا ما

بالخارج أثار انتباهي.. امرأة شمطاء تجر كلبها الـ(دوبر مان) محاولة ثني اصطحابه في اتجاه ما لا يريده هو.. أخذ الكلب يحرك أطرافه الأربعة في عكس اتجاه المرأة ولكن بلا أمل.. باءت جميع محاولاته بالفشل فامتثل لأمرها في النهاية.. تعجبت حقًا من أمر هذا المخلوق.. فحجمه وقدراته يتيحان له أن يصنع من تلك المرأة وجبة "برجر" شهية.. ولكنه الوفاء حتمًا الذي يمنعه.. كان يتوقف بين الحين والآخر محاولًا جذب عنقه خارج الطوق.. ولكن يبقى الوضع على ما هو عليه فيثنيه ذلك عن موقفه ويتابع سيره من جديد.. تأملت الكلب في شيء من الحزن والغيظ معًا.. حركت الدبلة التي كانت تطوق إصبعي في حركات دائرية حوله.. أطرقت لحظة وأخذت أتأمل المكان حولي.. ثم رفعت نظري من جديد لأتابع الكلب وهو يحاول الخلاص من صاحبته وفكرة مجنونة بعقلي تلح على ذاتي بالتطبيق..

- (سارة).. تعالي قيسي الفستان ده..

كان ذلك نداء أمي الذي لم أكترث به.. نظرت لـ(هشام) فابتسم لي مشجعًا.. انتظرت لحظة ثم حسمت أمري.. خطوت بضع خطوات قليلة تجاهه.. ومن ثم وقفت أمامه مباشرة وهززت رأسي بالنفي، وأردفت:

- مش هينفع..

- طيب تعالي اختاري اللي إنتِ عايـــــــــــــزاه..

بتر عبارته فما قلته لم يكن ليعني الفستان في شيء.. ما قلته أتبعته بخلع دبلتي ووضعتها في راحته ثم وجهت ظهري لهما هما الاثنين وأطلقت لساقيّ العنان.. جذبت باب المحل ففتحته وأخذت أركض بالشارع.. لم أكترث لتعليقات المارة الساخرة.. لم أكترث لنداءات أمي الغاضبة.. لم أكترث لنظرات (هشام) المصدومة.. لم أكترث لأي شيء سوى الهواء الذى كان يصطدم برئتي وكأنه أول لقاء لهما.. ركضت كما لم أركض من قبل.. وتطايرت الدموع من عيني لتصطدم بالهواء هي الأخرى.. توقفت مليًّا لألتقط أنفاسي فسمعت صرخات متتالية.. انطلقت أذناي لا إراديًا تبحث عن مصدر الصوت لترشد عيني إلى الفاعل.. نظرت فإذا بها صاحبة الكلب.. تصرخ بعبارات لم أستطع تفسيرها وتشير باتجاهٍ ما وبيدها الأخرى طوق فارغ.. بلا عنق.. ابتسمت وأدرت وجهي من جديد وواصلت عدْوي.. إلى حيث يشاء القدر..

.. ولكنني سعيدة

قمة الرومانسية هي:

أن تتأمل (هالة) وهي تلتهم ساندويتش الـ"بيج تيستي" الذي كان ملكًا لي منذ ثلاث دقائق مضت.. أضف إليه توأمه السيامي وقد انتحر قفزًا داخل معدتها مصطحبًا معه باكتتين بطاطس حجم إكس لارج.. ولتر بيبسي يتيم من الكشك الملاصق لمقر الشركة.. و"حبة خيار مخلل" لزوم فتح الشهية!!

- أنا جعانة أوي..

- أحب ألفت انتباهك لحاجة صغيرة بس معلش.. حبيبتي.. ماما.. إنتِ لسّه بتاكلي ومخلصتيش!!

- والنبي صحيح؟! منا واخدة بالي على فكرة.. بس جعانة برضو..

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. طب أجيبلك سندوتش (منعم)؟ الراجل طيب يعني وكمان مش حامل فمعندوش أي مبرر يخليه ياكل من أصله!!

- آآآه.. هنبتدي تنبيط بقى.. وبعدين مينفعش يا ستي ده راجل عازب وأنا جوزي قال لي متكلميش رجالة مش مرتبطين..

- إحنا هنمثل؟! ده بيكلم الواحدة فينا وهو مديلها قفاه.. بالإضافة لإنك خلاص بقيتِ عاملة زي عربية الرش من حيث الشكل والمضمون، فمش حيميز إنك من بني البشر أساسًا..

- هاهاهااااا.. يا خفة..

- أنا عارفة.. قالوا لي كتير..

- (نوني)..

- إيه؟

- ما تشاوري عقلك كده.. إيه رأيك فيه ما هو زي القمر أهه وعنيه عسلي.. ده غير إنه أكبر منك ومن عيلة كويسة ومؤدب.. شوفي كده..

- آه.. طب آخد الوالد ونروح نتقدم له ولا إيه مش فاهمة؟!

- لأ، مش كده طبعًا.. بس أنا ممكن ألمّح له..

- لا والله؟! مش لسّه من شوية كنتِ بتقوليَ جوزي قال لي متكلميش رجالة وحالف عليكِ بالطلاق وطخك عيارين، وجو السسبنس أبو ربع جنيه ده؟!

- ما هو محدش فينا هيقول لـ(وليد) إني كلمته..

- لا، أنا ممكن أقول.. لو هتجيبي لي مصيبة زي دي ممكن أبيعك

وأقول لجوزك وتتطلقي وتقعدي جنبي.. اتبطي بقى وملكيش دعوة بيّا.. أنا مبسوطة كده..

"أنا مبسوطة كده"..

قلتها فتذكرت آخر مرة حفرتْ فيها دموعي أخاديدَ لتسابق كل قطيرة منها خليلاتها في تحدٍّ شرس ما كان منه إلا أن حفز غددي الدمعية أن تزداد سخاءً بما لديها.. فأنا أمتلك من الأعوام تسعة وعشرين واحدًا، وبضعة شهور، والقليل من الأيام.. أي أنني في طليعة قائمة العنوسة كما تمدحني عمتي..

– هتعنسي يا بنت (هاني) وتقعدي لنا زي العمل الردي..

– ميرسي يا عمتو على الكلام الرقيق ده..

– الله يحفظك، ده أقل واجب يتقال للي زيك.. الله يرحمك يا "وداد".. لو كانت أمك عايشة كان زمانها كتبت كتابك من وإنتِ في تالتة ابتدائي..

– يا ستي أنا مبسوطة كده.. ارتاحي بقى وكلي لب!!

فعمتي "المذواقة" ككثير من خلق الله تعتقد أن قمة طموح المرأة يسكن في رجل يقتنيها.. وكونها مميزة في مجال عملها أو في موهبة تمتلكها لا

يمثل أي صفر على اليسار حتى.. والمقيت في الأمر أن محاولة إقناعها بأنني فعلاً سعيدة تستفز قدراتها العالية على الاندهاش فتظهر في صورة درر لفظية عاتية تجرح هي ذاتي بها.. وأيما جراح..

أنا سعيدة.. ورحمة والدتي أنا سعيدة.. والله العظيم تلاتة أنا سعيدة.. "إن شالله أنطس في نظري ويجيلي متلازمة الهبل – زي اللي عند (سهيلة) بنت عمتي – أنا سعيدة!!"..

أنا متفوقة في عملي وحاصلة على درجة الماجستير في مجال دراستي.. أحب حياتي كما هي ولا أنتظر قدوم أحدهم ليزيدها بهجة.. لست معقدة.. أقسم لكم.. بل أنا على العكس تمامًا.. متصالحة مع ذاتي بشكل كلي، وأؤمن بأن ما وهبني الخالق هو كفيل بإرضائي فلا أسعى ولا أتطلع لغيره.. أوقن أن لكل شيء موعدًا محددًا لولادته.. وإن لم يأتِ فهو لم يخلق من الأساس.. أنا راضية تمام الرضا وسعيدة.. فمنذ متى كانت تلك الصفات جريمة؟! لا أدري لماذا يصر الجميع على تحويل حياتي لمجزرة تأنيب في كل لحظة تعبر بي.. لا أعلم ما عيب كوني بلا رجل؟! نعم أنا أتمنى أن أُعشَق وأشتاق كسائر النساء ولكنني لا أهرول نحو الحب.. فهو إن لم يأتِ لي بكامل حريته وإرادته.. يكون قد خسر الكثير من معانيه المليحة..

عوووء..

انتبهت على الصوت الذي ملأ المكان بعويله وكذلك رائحته النفاذة.. والكثير الكثير من الـ"بيج تيستي" والخيار المخلل.. نعم هذا صوت تقيؤ (هالة)!!

انتفضت فاقتلعت كبشة من المناديل وأخذت أنظف بها فمها وملابسها مربتة على كتفها مهونة عليها.. فهذا المشهد مألوف منذ سبعة أشهر مضت ولكن موقع الحادث وظروفه تغيّرا.. فالمرات السابقة كان الطعام يلقى مثواه الأخير بدورة المياه.. ولكن هذه المرة لم تتمكن المسكينة من كبت رغبتها فاندلع الانفجار في منتصف الطريق.. وتمامًا على مكتب الطيب المحترم (منعم) سابقًا.. والمتقزز بذهول حاليًا..

وقف الشاب محملقًا بي، لا بها هي.. فوددت أن ألفت انتباهه إلى أنني لست الفاعل وإنما أنا مجرد ملاك أُرسل إليه ليحتوى بعضًا مما أصابه، ولكنني ولأسباب تتعلق بقدرته على الاحتمال وأن ما به حتمًا يكفيه.. أعرضت عن "اللت" بالموضوع وانكببت على المكتب لأداوي جراحه.. مالت عليّ (هالة) وأردفت بوهن متقطع:

– (نـ.. نغم)..

– نعم.. لسّه جعانة ولا إيه؟

– آه.. بس مش ده الموضوع.. بقول لك إيه.. الـواد (إبـراهيم) — "أي (إبراهيم عبد المنعم) والملقب بـ(منعم) أو (إبراهيم) أحيانا" – عمَّال يبص لك كل شوية ويبتسم كده.. أقطع دراعي من هنا لو مكنـــ...

سارعت بحشر مجموعة من المحارم بين شفتيها وأضفت بغيظ:

– يا وليّة خليكِ ف اللي إنتِ فيه.. ده إنتِ بشعة!!

قلتها وأكملت مهمتي الباسلة كفلبينية علـى أكمـل وجــه.. ومـن ثـم توجهت لزميلي الفاضل لأعتذر له نيابة عن صديقتي:

– معلش يا (إبراهيم).. حادثة صغيرة كده وعدّت.. بس المكتب بقى تمام، وهانادي (أم رضا) تمسحه تاني بالديتول والكلور، وتنـضف الأرضـية كمان..

– تسلم إيدك.. كتر خيرك يا (نغم)..

– لا، عادي، العفو، مفيش حاجة..

– (نغم)..

– أيوه؟

نطق اسمي، ومن ثم احمرّت وجنتاه، وأردف بصوت منخفض:

– على فكرة.. إنتِ طيبة أوي.. وحنـــــــ... محترمـة كمـان.. أنـا

بحترمك جدًا.. متشكر.. شكرًا.. شكرًا..

- ها؟!

لا أدري كيف "تمسمرت" قدماي بمكانهما وتلاعبت تعبيرات الاندهاش بوجهي حتى أخرجت منتجًا معتوهًا من كثرة ذهوله.. بينما انسحب "أخينا" من أمامي مسرعًا نحو باب الغرفة وتلاشى تمامًا..

جررت ساقيّ بأعجوبة وتوجهت كالمسحورة إلى حيث (هالة).. تمتمت وشبح سعادة "مزبهلة" يطاردني:

- خضرا..

- مين (خضرا) دي؟

- عنيه.. عنيه خضرا.. مش عسلي يا (هالة)..

الخميس - 2012/5/31 - 10:28 صباحًا

الموقّعُ أدناه

(ميكانيكي السعادة)

أخذت أتأمل اللافتة المكتوبة وعلى شفتي ابتسامة ساخرة خشيت أن يلحظها (الأسطى غريب) صاحب الورشة.. أشَحْتُ بوجهي كي لا أثير حفيظته وأخذت أفكر محاولاً إيجاد علاقة ما بين السعادة والميكانيكا.. كنت على وشك أن أنبهه إلى أن الهاء الملحقة بآخر كلمة (السعادة) يجب أن تعلوها نقطتان لتصبح تاءً مربوطة لولا أن تذكرت أن (غريب)، وبمعجزة خارقة، يستطيع كتابة اسمه باللغة العربية.. من اليسار لليمين!! مما كان كفيلاً هو الآخر بجعل ابتسامتي تزداد اتساعًا لا إراديًا..

– معلش يا أسطى ممكن بس تبص لي على العربية لحسن أنا مستعجلة أوي..

تلفتُّ لألقي نظرة على صاحبة الصوت الأنثوي.. تأملتها لوهلة وأخذ اعتقادي الأزلي في أن بطلات (منى نور الدين) لا يظهرن إلا في (جاردن سيتي) وحدها يتلاشى بسرعة مريبة..

وقفتْ بجوار السيارة وبدأ القلق يرسم ملامحها الدقيقة.. اقترب (غريب) من المرحومة وألقى نظرة سريعة على محتوياتها ثم التفت للفتاة

وأردف بثقة:

- سُسَت الموتور بايظة يا ست هانم..

- إيه؟!

- سُسَت الموتووور..

- آه.. طيب ودي تاخد وقت في تصليحها؟

- يعني.. نص ساعة كده.. بس هتكلف شوية.. عشان هبعت حد من الصبيان يجيب الحتة الأصلي بتاعتها من (السبتية)..

- يعني هتكلف قد إيه كده؟

- يعني.. حوالي 500 جنيه..

تنهدتْ بضيق، ثم أضافت:

- طيب.. ماشي بس يا ريت تخلصني بسرعة..

"نصب علني".. ما حدث أمامي حينها كان تعريفه المطلق..

كنت على وشك أن أفضح الأمر برُمته لولا أنها باغتتني بالإشارة إلى وجهي والتحديق فيه بتعجب أبله مضيفة:

- هو مش حضربتك برضووو.. حضرتك بتيجي في التليفزيون.. مش كده؟ بيتهيألي أنا شفت حضرتك.. في برنامج.. آآآآ..

انتظرتها لتكمل عبارتها.. ولكنني وللحقيقة لم أتوقع أن تتذكر اسم البرنامج الذي أقدمه؛ لأنني وببساطة لم أكن مقدمًا لبرنامجها المفضل.. (مهاترات الجمال)!

صمتُّ لبضع لحظات واهبًا إياها مزيدًا من الإحراج.. ثم أومأت برأسي وكأنني أتفهم أن النسيان ما هو إلا عادة سخيفة يجب أن يقلع عنها الجميع، ومن ثم أردفت:

- (فتّح عينيك)..

فتحت الفتاة شفتيها لتعلن أنها تذكرت.. ولكنها ما لبثت أن أطبقتهما من جديد وابتسمتْ في حرج..

كلا يا عزيزتي.. هذا ليس فيلم (مصطفى شعبان).. ولا هو أغنية (العزبي) أيضًا.. مسكينة هي تلك الفتاة.. لا بد أن قنوات المنوعات قد استولت على (سُسَت مواتير) عقلها بالكامل.. ولم تترك مجالاً.. ولو يسيرًا.. لتفاهات السياسة والمجتمع!!

التفتُّ لـ(غريب) وأردفت بشيء من الضيق:

- ما تخلصني بقى يا (غريب) خليني أمشي!!

- حاضر يا (حاتم) بيه.. يا (تيفا).. اكتب للبيه حسابه!!

كان يعلم جيدًا أنني أفضل التعامل بالورقة والقلم؛ حتى أراجع الحساب على مهلٍ، وأتأكد من أنه لم يخدعني بطريقة أو بأخرى..

ناولت الفتى قلمًا من جيب سترتي.. ثم أخذت أبحث في بقية الجيوب عن وريقة صغيرة ليدون عليها الحساب..

– خلاص يا باشا..

قالها الفتى ثم انحنى على الأرض والتقط ورقة مطوية ملوثة بأحذية المارة.. أخذ يخط عليها بالقلم.. وناولني إياها فأمسكتها بشيء من التقزز المتردد..

حقا.. تصرف عبقري لا يصدر إلا عن (تيفا) وحده!!

تحسست جيبي وأخرجت الحافظة.. ناولت الفتى المطلوب وشكرته.. كنت على وشك أن ألقي بالورقة المقززة إلا أن الفضول أغراني بفضها، فأمسكت بها من الأطراف وفتحتها.. وما احتوت عليه الورقة كان آخر شيء يمكن أن يطرق ذهني وقتها..

رسالة انتحار كانت..

ويا للهول!!

* * *

"حبيبتي الغالية (ريم)..

أكتب إليكِ لعلها تكون آخر مرة أزعجكِ فيها.. ولكنني قبل أن أمضي.. أريد أن أصارحك بشيء ما.. بسر ما.. سر احتفظت به في قلبي وأغلقته عليه.. وما أغلقت عليه قلبي هو.. أنت يا (ريم).. (ريم).. أنت السبب في كل شقائي.. نعم.. شقائي الذي لن ينتهي إلا برحيلي.. رحيلي الذي سيريحك.. ويريحني.. لا تبكِ عليّ يا (ريم).. فأنا لا أستحق دمعة واحدة من عينيك.. عينيكِ الجميلتين اللتين سحرتاني.. سحرتاني.. وأمرتاني بالرحيل.. فها أنا ذا أرحل.. أرحل دون أن أراكِ.. دون أن أودعكِ.. دون أن أبوح لكِ بحبي.. سأتخلص من حياتي يا (ريم)..

سأنتحر.. سأنتحر بصمت.. فوداعًا.. وداعًا يا حبيبتي.. وداعًا يا حياتي.. وداعًا.. يا (ريم)..

محمود"

* * *

ما إن انتهيت من قراءة الرسالة حتى تذكرت كلمة زميلي (أحمد العلمي) الشهيرة –التي نختلف بشأنها كثيرًا– واصفًا الأعمال التي تردنا في الجريدة لتحكيمها في المسابقات:

– العيل من دول يمسك لك آخر كلمة من الجملة الأخرانية ويلزقها

في الجملة اللي بعدها.. ويكمل بأي هبل.. ويفتكر بكده إنه بقى (نبيل فاروق) نفسه.. ولا حدش يقدر يكلمه نص كلمة بعدها.. عالم تقرف!!

هززت رأسي هزة بسيطة وكأنني أطرد (العلمي) منها.. طالعت الكلمات من جديد لعلي قد أخطأت الفهم أو القراءة.. ولكن للأسف.. الفتى لا يمزح..

(سأنتحر).. كلمة واضحة المعنى.. ولا تحتاج لذكاء خارق ليثبت نيّة الشاب في قتل نفسه!!

استندت بجسدي على السيارة.. وأخذت أرتب أفكاري بصعوبة..

"حسنًا.. اسم الصبي واضح.. هذا أولاً.. ثانيًا، هنالك نسبة كبيرة ترجح أنه من سكان هذه المنطقة.. الورقة ليست ملوثة بدرجة كبيرة وهذا يعني أنها كتبت حديثًا.. كلا كلا.. بل ألقيت بالشارع حديثًا.. هذا ثالثًا.. رابعًا، من الممكن جدًا ألا يكون الفتى قد تخلص من حياته بعد.. يمكنني أن أسأل (غريب) إذا كان هنالك أي جريمة انتحار قد حدثت مؤخرًا.. ولكن لأدع هذا السؤال جانبًا الآن حتى لا أثير شكوك "برنس المواتير" حول سلامة قدراتي العقلية!!"

ترررررررررن.. تررررررررن.. ترررررررررن.. ترررررررن..

كان هذا صوت هاتفي المحمول الذي انتزعني من أفكاري.. أخرجته من جيبي ثم نظرت لشاشته لأعرف هوية المتصل.. فإذا به رئيس التحرير..

– آلو..

– آلو.. أيوه يا (حاتم).. باحاول أكلمك بقالي ساعتين وتليفونك خارج الخدمة.. فين يا سيدي المقال؟ الطبع واقف عليه..

– مقال إيه؟ ما أنا بعتهولك على الإيميل بتاعك..

– مافيش حاجة وصلت.. والمطبعة واقفة عشان خاطر مقالتك!!

– طيب طيب.. هكلم (منال) تبعتهولك من البيت..

– ماشي يا سيدي.. أديني مستني.. سلام..

– مع السلامة..

أنهيت المكالمة ثم ضغطت على أزرار الهاتف ناشدًا صوت زوجتي.. وأخيرًا أجابت بعد خمس محاولات فاشلة!!

– نعممم!

نعم؟! ردّ لا شك دعاني للتفتيش في دهاليز ذاكرتي عن حمق ارتكبته في حق شخصها المصون..

– أيوه يا حبيبتي إزيك؟

– عايز إيه؟!

رد آخر طمأن قلبي وأكد لي أن وجهي الوسيم سيتصدر صفحات الحوادث غدًا.. مع كلمة رقيقة من زوجتي مضمونها: "أهو كلب وراح"!!

أسلمت أمري لله وحده وتوكلت عليه، ومن ثم ألقيت عليها السؤال:

– فيه حاجة يا حبيبتي؟ أنا حاسس إنك متضايقة..

– بجد؟!

– آه والله!

أجبتها ببراءة ما كانت منها إلا أن زادت من حنقها فأضافت:

– طيب لما تفتكر إنتَ عملت إيه إبقى كلمني تاني.. مع السلامة!!

تييت تييت تييت تييت..

هل اليوم هو الحادي عشر من سبتمبر؟ أبدًا.. إذًا فهو ليس بعيد ميلاد حماتي العزيزة.. وبالتالي فأنا لم أنسَ!!

هل هو عيد زواجنا؟ كلا البتة.. فلقد احتفلنا به منذ شهرين.. وعلى حسب معرفتي الضئيلة فهذه المناسبة لا تباغتني إلا مرة واحدة بالعام..

أخذت أدير أيام السنة برأسي بحثًا عن أي عيد أو أي مناسبة أكون قد

غفلـت عنهـا.. ولكـن بحثـي بـاء بالفـشل فاستـسلمت لقـضاء الله وقـدره.. واستنجدت بالخطة رقم واحد؛ فهي دائمًا ما تأتي بنتائج إيجابية..

سأبتاع أي هدية وأقـدمها لهـا لعلـها تـصفح عـن ذلـك الجـرم الـذي ارتكبته ولا أتذكره.. ولكن قبل ذلك سأقصد مكتبي في وسط العاصـمة لأبعـث لرئيس التحرير بالمقال من هناك.. حسنًا لأنطلق إذًا..

وضعت يدي بجيبي لأخرج مفتاح السيارة ففوجئت بالورقة إياها وقد نسيتـها تمامًا في غمرة ما حدث.. وقفت مكاني وأنا على وشـك الانفجـار.. إلا أنني لم أجد أحدًا ممن أعرفهم لأصب عليه حمـم غـضبي.. ففتحـت الرسـالة ونظرت لآخر كلمة مدونة بها، ومن ثم صحت بحنق لفت أنظار معظـم المـارة إليَّ:

– الله يخرب بيتك يا (محمود)..

* * *

منذ الساعة الثانية والثلث مساءً وحتى الرابعة والنـصف عـصرًا وأنـا أبحث عن ذلك المحمود.. والحقيقة أنني قد قابلت الكثير منهم.. ومعظمهـم يستحق الانتحار عن جدارة.. لكن (محمـود) كاتـب الرسـالة لم يكـن واحـدًا منهم..

بالطبع أغلبهم اعتقد أن عقلي "خفيف".. خصوصًا حينما كنت أخـرج

الورقة وأريهم إياها ومن ثم أسأل بكل ثقة: "هو إنتَ اللي كتبت الجواب ده؟"، فينظر إليّ أحدهم والشك يملأ عينيه ويجيب بتوجس: "لأ.. مش أنا".. ويبتعد عني مسرع الخطى..

والغريب في الأمر أن معظم سكان الحي كانوا يتطلعون إليّ بنفس طريقة فتاة "السُّسَت" ذات النظرة التي تقول "أنا شفتك فين قبل كده؟".. حتى بائعة المناديل التي سألتها عن (محمود) رقم 9 في قائمتي.. تطلعت إليّ وأردفت بثقة:

– إنتَ بتاع الكاميرا الخفية.. مش كده؟!

أرهقني البحث لأقصى درجة.. وأصابني بصداع نصفي رهيب..

و(محمود) يأبى الظهور.. وعقارب الساعة ترفض أن تتراجع للوراء.. أو حتى تتوقف لمواساتي.. ولو لبضع دقائق خاوية..

* * *

– فين المقالة يا (حاتم)؟!

– حاضر.. هابعتها..

– بقالك أكتر من ساعتين بتقول لي كده.. والطبع واقف عليها!!

– حاضر حاضر!!

* * *

ثلاث ساعات مرت.. وبحثي عن المذكور لم يتوقف لدقيقة واحدة..

حتى إن عقلي المجهد وزّني على تأجير عربة من طراز "الكارو" واللف في الحي مناديًا بالميكروفون بحثًا عنه:

– إنتَ فين يا (محمود)؟ (حاتم) بيدور عليك!!

ولكنني أعرضت عن الفكرة لما قد تؤديه من ضرر بالغ في مكانتي الاجتماعية.. وتأكيد مباشر لاعتقاد المرأة إياها عن كوني من أفراد الكاميرا الخفية!!

* * *

– المقال يا (حاتم)!!

– حاضر!!

* * *

(العلمي) اللعين لا يجيب على هاتفه.. على الرغم من تأكدي التام من أنه موجود بالمكتب!!

* * *

جررت قدمَيّ كالقائد المهزوم في المعركة.. اتجهت نحو السيارة وأنا عازم على الرحيل.. فلقد كُلِّلت محاولاتي البائسة بالفشل..

لمحني (تيفا) فاقترب مني وسألني بقلق يغلب عليه الفضول:

– فيه حاجة يا أستاذ؟ حضرتك بقالك بيجي تلات ساعات سايب العربية هنا وبتلف.. فيه حاجة؟

رفعت رأسي إليه وتمتمت بلامبالاة:

– لا، عادي، كنت بادوّر على واحد.. بس مالقيتوش..

– طب ما كنت تسألني يا باشا وأنا أساعدك..

– ما أنا سألت الأسطى (غريب) وقال لي مايعرفوش..

انحنى عليّ الفتى وهمس في أذني:

– ده حمار ولا يعرف حاجة.. اسألني أنا وأنا أدلك..

زفرت بضيق من إلحاح الفتى.. وبُحتُ له باسم المذكور كي أتخلص من ثرثرته:

– (محمود).. بادوّر على واحد اسمه (محمود).. ولفيت الحتة كلها ومالقيتوش..

– أمممم.. طيب ماقاللكشي هو ساكن فين بالظبط؟

– لأ!

وقف يحك ذقنه قليلاً.. وكأن الإجابة ستتساقط منها حتمًا.. فهممت بالرحيل إلا أنه استوقفني قائلاً:

– طيب شفت (حُكشة) اللي في البيت ده؟

قالها ثم أشار للبيت الذي تقع فيه الورشة..

– مين؟!

– (حُكشة) يا باشا.. ما هو اسمه الحقيقي (محمود).. بس ده واد عبيط.. مايتهيأليش إن حضرتك تعوز الأشكال دي ولا مؤاخذة..

– هو ساكن في أنهي دور؟

– الدور التاني..

شكرته واتجهت ناحية مدخل البناية، مقنعًا نفسي بأن هذه آخر محاولة وسأقوم بها فقط من أجل إرضاء ضميري، وإقناع نفسي بأنني قد فعلت كل ما كان بوسعي أن أفعله على الرغم من اقتناعي أنها حتمًا ستكون آخر المحاولات.. الفاشلة..

وقفت أمام باب الشقة المزعومة وضغطت الجرس.. ما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى انفرج الباب.. أطل منه رجل في العقد السادس من عمره.. وما إن رآني حتى اتسعت عيناه في مزيج من الفرح وعدم التصديق:

– أستاذ (حاتم فؤاد)؟! مش معقول..

وأخيرًا.. تعرّف عليّ أحدهم!! ابتسمت وأضفت:

– أنا آسف طبعًا إني جاي من غير ميعاد مُسبق.. بس أنا كنت عايز (محمود) في حاجة ضروري جدًا..

– (محمود) ابني؟!

وقعت في حيص بيص حينها وأربكني السؤال.. فهل كان سؤالاً استنكاريًا أم أن البيت يحوي أكثر من (محمود)؟! فسألته وكأنني أمزح:

– هو فيه (محمود) تاني هنا ولا إيه؟

– لأ.. آه.. معلش آسف إني سايب حضرتك واقف على الباب.. اتفضل اتفضل.. ثواني وهانده (محمود) حالاً..

قالها وأفسح لي الطريق ثم أشار إلى أحد المقاعد فجلست لأنتظر.. وما هي إلا لحظات وظهر أمامي الفتى..

كتلة من الأشياء كان.. أو نموذجًا مصغرًا من الفيل الأبيض الهندي الأصيل!! تبدو عليه علامات الاندهاش التي اقتنعت مع الوقت أنه قد وُلد بها.. وقف عند باب الغرفة وفتح فمه لدرجة أقنعتني أنه لا ينوي إغلاقه قريبًا!!

– إنتَ (محمود)؟..

سألته ولكنه انتظر بضع لحظات حتى يستوعب السؤال ثم أومأ

برأسه بالإيجاب..

– طيب يا (محمود).. أنا مش عايز أزعجك أنا بس كنـــــ..

قاطعني الفتى وانطلق يتكلم وكأنه كـان محرومًـا مـن الحـديث طيلـة عشرة أعوام كاملة:

– أنا باشوف برنامج حضرتك كل يوم اتـنين.. وقـرأت كـل كتبـك.. آآآ.. معظمها يعني.. و.. و.. باقرا المقال بتاع حضرتك اللـي بينـزل كـل يـوم أربع.. و.. و..

– خلاص يا ابني.. هو ده كل اللي باعمله في حياتي..

قلتها ممازحًا إياه لعله يهدأ قليلاً من فرط الانبهار والدهشة.. ولكنه ما لبث أن انطلق يتحدث من جديد:

– وأنـا.. أنـا باحـب حـضرتك جـدًا جـدًا.. وبيعجـبني كـل حاجـة بتكتبها.. وباعتبر حضرتك والدكتور (نبيل) مثل أعلى ليَّ.. آه والله..

– يا ابني أنا مصدقك والله مش محتاج تحلف..

قلتها فصمتْ.. فانتهزت هذه الفرصة وأخرجت الورقة لأريـه إياهـا فأتلقى منه كلمة "لأ" وأنطلق لحال سبيلي لعلي أستفيد ولـو بـآخر سـويعات هذا اليوم الرهيب..

- بص في الورقة دي كده يا (محمود).. إنتَ اللي كاتب الكلام ده؟

أمسك الفتى بالورقة وقربها من عينيه.. وارتسمت على وجهه علامات الدهشة التي لم تكن قد فارقته من الأساس، وأردف بحيرة غريبة:

- أيوه أنا اللي كاتبها.. بس إزاي وصلت لحضرتك؟! أنا مابعتهاش للمجلة لسّه..

أول ما سمعت كلمة "أيوه" شعرت بفرحة غريبة لم أشعر بها إلا حينما فازت (مصر) على (الكاميرون) بأربعة أهداف!!

اقتربت من الفتى أكثر وعدلت من وضع منظاري الطبي كنوع من البروتوكول الوعظي.. ووضعت يدي على كتفه من ثم بدأت بالعزف:

- وإنتَ ليه عايز تنتحر يا ابني؟ الدنيا فيها حاجات حلوة كتير.. إنتَ لسّه صغير والحياة قدامك لسه بتتــــــ..

قاطعني الفتى الذى كان لحظتها قد احتكر توكيل الاندهاش في العالم بأسره، وأردف:

- ومين قال إني عايز أنتحر؟!

- نعم؟!

- أنا مش عايز أنتحر..

– أمال إنتَ عايز إيه؟! قصدي أمال إنتَ كاتب الجواب ده ليه؟!

– أنا كنت كاتبه عشان أقدمه في المسابقة اللي في الجريدة بتاعة حضرتك.. المسابقة بتاعة الرسالة..

نظرت إليه وأنا على حافة الجنون.. وكدت أنحني على يديه أقبلهما وأنا أتوسل إليه قائلاً "أرجوك تنتحر.. أرجوك تنتحر!!"؛ فقط لأشعر أن يومي وأعصابي لم يذهبا هباءً..

– يا أستاذ (حاتم).. أنا لا يمكن أفكر بالانتحار.. لأني عندي هدف في حياتي.. أنا عايز أبقى كاتب كبير زي حضرتك وزي الدكتور (نبيل).. اللي بينتحر ده هو اليائس اللي معندوش حاجة يبقى عليها في الدنيا..

قال تلك الكلمات الحكيمة –من وجهة نظره– ووقف مختالاً فخورًا بذاته.. ولحظتها.. لحظتها فقط.. أردت أن أتحول لـ(أدهم صبري) فأحرك أطرافي الأربعة في حركات قوية وسريعة باتجاه "قفاه" لأسدد له صفعة محترمة.. تكون مصدر إلهام له لعدد من الروايات ذات الأجزاء المتعددة!!

نكست رأسي وأنا أتخيل رئيس التحرير الذي حتمًا قد أصيب بشلل الأطفال من جراء فعلتي.. و(منال).. (منال) أتخيلها وقد أشعلت فرن البوتاجاز.. وحضرت الأكياس البلاستيك والساطور لاستقبالي بحفاوة بعد أن تركتها اليوم بأكمله دون أن أعيرها أدنى اهتمام..

صرفت عينَيّ للفتى.. فقط لأسأله سؤالاً واحدًا لعل الفهم يعزيني فيما حدث:

– طيب الورقة دي وصلت الشارع إزاي؟!

– لا، عادي.. أصل لّما باخلص كتابة وأحس إن اللي كتبته مش عاجبني.. بارمي الورقة من الشباك..

– وكمان معفن؟!

هذا ما دار بعقلي حينها.. لولا أني لجمت لساني في اللحظات الأخيرة..

– طيب يا ابني.. أنا هاستأذن بقى.. السلام عليكم..

– طيب معلش يا أستاذ (حاتم).. هاسأل حضرتك على حاجة.. بما إن حضرتك قرأت عملي يعني.. إيه رأي حضرتك في أسلوبي.. أنفع؟

نظرت للفتى وأخذت أتحسر وأتندم أشد الندم على عدم إمكانيتي في أن أصبح (أدهم صبري).. أو حتى (سونيا جراهام)!!

– آه.. إن شاء الله هتنفع!!

قالها ضميري الملح.. الذي رفض أن يضحي بمعنويات الفتى.. وجررت ساقَيّ وتقدمت ناحية باب الشقة.. ثم التفتُّ للفتى وأضفت:

– ما تبقاش ترمي حاجة في الشارع تاني؟!

فسألني بذكاء غريب، وعينين متقدتين على أشد استعدادهما للتعلم والاستفادة:

– ليه؟

– عشان النضافة من الإيمان!!

قلتها والغيظ بداخلي يستحلفني أن أنتقم منه.. ولكنني سارعت بالخروج وجذبت الباب خلفي.. عدت للشارع فسألت أحد المارة عن أقرب "نت كافيه" لأبعث لرئيس التحرير بالمقال..

ترررررررن ترررررررن.. ترررررررن ترررررررن..

أخرجت الهاتف من جيبي متوقعًا أن يكون رئيس التحرير يحدثني من العناية المركزة وهو في آخر رمق له مطالبًا بالمقال!!

ولكن ولدهشتي وجدت الشاشة تضيء باسم زوجتي.. (منال).. كان هذا هو الاسم المكتوب على الشاشة.. أجبت وأنا في حالة تخدير كامل من هول المفاجأة، ومن ثمَّ أردفت:

– آلووو؟

– أيوه يا (حاتم) إنتَ فين؟ أنا قلقت عليك أوي..

رفعت حاجبي الأيسر غير مصدق.. ولكنني أجبت بسرعة، مقنعًا ذاتي أن الكذب الأبيض حتمًا ينفع في اليوم الأسود:

– أنا عند (غريب).. أصل العربية كانت على آخرها واضطريت أقعد جنبها لحد أما تخلص..

– طب مش تطمني يعني؟

– معلش حقك عليَّ..

– طيب قدامك قد إيه كده؟

– لا أنا خلصت خلاص وجاي أهه..

– طيب ما تتأخرش بقى وسوق على مهلك..

– حاضر.. مع السلامة..

– سلام..

أغلقت الخط وأنا أكاد لا أصدق.. وانزاح عن كاهلي جزء كبير من الحمول.. أخذت أحث الخطى تجاه المقهى لولا أنني سمعت صوتًا يهتف باسمي.. فالتفتُّ فإذا به (محمود)..

– أيوه يا ابني.. فيه حاجة؟

– أنا عايز أطلب من حضرتك طلب معلش..

– خير؟

– كنت يعني.. عايز أعرض على حضرتك أعمالي كلها.. يعني لو حضرتك عندك وقت تقرأها وتعلق على أسلوبي والأفكار.. وكده..

ابتسمت بعد تردد.. فما كان أمامي في النهاية إلا أن أبتسم.. الفتى يريد أن يصبح كاتبًا.. وجزء من دوري في الحياة هو إعداد أمثاله..

أخرجت بطاقة صغيرة من حافظتي.. وناولته إياها، ومن ثمَّ أضفت:

– ده الكارت بتاعي.. فيه التليفونات وعنوان المكتب.. ابقى كلمني نحدد معاد..

تناول الفتى البطاقة بسعادة غامرة شاكرًا إياي.. كان على وشك الانصراف إلا أنني استوقفته لأسأله عن شيء باغت عقلي لحظتها..

– إلا قل لي يا (محمود).. إنتَ ليه كتبت اسمك الحقيقي في آخر الرسالة؟

احتار الفتى قليلاً.. ثم ابتسم وأجاب وقد احمرّ وجهه:

– صدقني يا أستاذ مش عارف.. بس ماجاش في بالي ساعتها اسم تاني غير اسمي..

"إنه القدر يا عزيزي الذي دفع رسالتك إلى طريقي.. لأضعك على أول الطريق".. جاءتني الإجابة من داخل رأسي.. فابتسمت بدوري.. وودعت الفتى، ومن ثمَّ انطلقت أحث خطاي تجاه المقهى..

وفي عقلي يقين راسخ أن هذا الفتى حتمًا سيكون كاتبًا مشهورًا..

ليضرب بنظرية (العلمي) عرض الحائط..

ويتزوج من (ريم) ليصيبها بالضغط المزمن من أفعاله.. ثم تعود لتقلق عليه حين يتأخر..

وسيقابل الكثير من فتيات السُّسَت.. فقط.. ليحمد الله على تلاميذه النبغاء المتعطشين لعلمه..

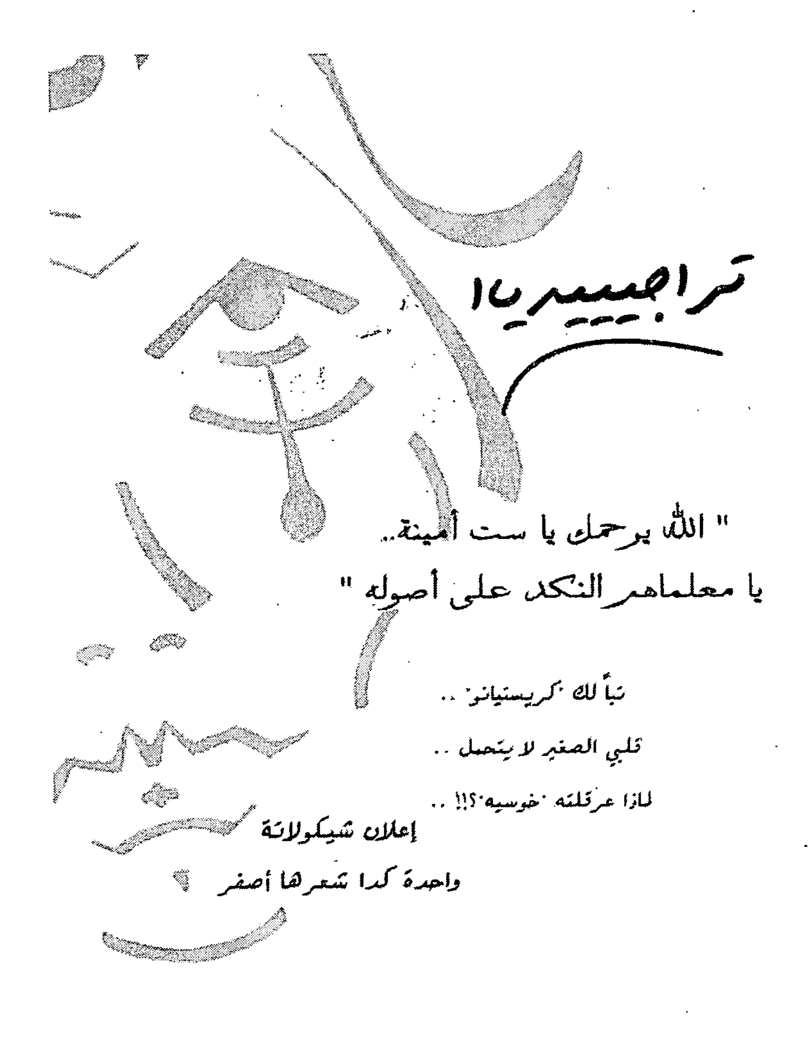
وسيطارده رئيس تحريره بين الحين والآخر من أجل مقاله الذي يتوقف عليه الطبع!!

نعم.. سيصبح كاتبًا مشهورًا ذات يوم.. لا شك في ذلك..

ملحوظة: عندما أقرأ هذه القصة لا أدري لماذا أتخيل أن البطل هو د.أحمد خالد توفيق.. أتصوره في مجمل الأحداث ولكن دون طبعًا علاقة البطل بزوجته "عشان محدش بس يصطاد ف المية العكرة D:"..

فخالص اعتزازي وتقديري لشخصه المحترم..





تراجيديا

" الله يرحمك يا ست أمينة..
يا معلماهم النكد على أصوله "

تباً لك "كريستيانو" ..

قلبي الصغير لا يتحمل ..

لماذا عرقلته "خوسيه"؟!! ..

إعلان شيكولاتة

واحدة كدا شعرها أصفر



وعد بأجنحة ورقية

أطل (حسن) برأسه بحذر من خلف الشجرة التي كان يختبئ وراءها.. نظر لأعلى فوجد ضوء الغرفة لا يزال متقدًا.. أبرم شفتيه في شيء من خيبة الأمل ثم أخذ يحك رأسه كعادته حينما يتوتر.. انتظر بضع دقائق على أمل أن يتغير الحال ولكن الضوء خذله من جديد.. انزلق بجسده مستندًا بجذع الشجرة حتى استقر على الأرض.. مد يده فاقتلع حزمة من الحشيش أخذ ينفث في كل واحدة منها متأملاً إياها وهي تراقص الهواء بدلال حتى تلامس إخوانها السابقين.. نهض من مكانه ثم استدار وأطل من جديد.. هذه المرة حنَّ عليه الضوء برحيله، فرسم على شفتيه ابتسامة ممتنة..

مد قدمه اليسرى للأمام معلنًا بدء المرحلة الثانية.. ثم أخذ يتحرك بخطوات حذرة باتجاه واجهة البيت الخلفية حيث الباب.. أخرج كشافًا صغيرًا من جيب بنطاله وأدار عدسته فأطلقت ضوءًا خافتًا.. اقترب من الباب أكثر وأخذ ينصت لوهلة.. وما هي إلا دقيقتان على الأكثر حتى سمع صوت طرقات خفيفة تصدر من الداخل فرد عليها بعدد مماثل منها.. أصدر رتاج الباب صريرًا مكتومًا.. ومن ثم انفلج الباب ببطء ليظهر طفل صغير يحمل كشافًا فضيًا بدوره.. أطفأ الفتى الكشاف وتقدم خطوتين خارج المنزل ثم أغلق

الباب خلفه ببطء شديد حتى لا يحدث ضجيجًا.. أفلت الطفل المقبض، ثم مد كفه ليمسك براحة (حسن) الذي قبض بدوره على أصابعه ما إن استقرت براحته..

مشهد متكرر هو.. يحدث كل يوم ما إن يعلن الليل استعماره للسماء.. في كل يوم.. وفي نفس الموعد.. يتسلل (يوسف) من فراشه ويخرج ليجد (حسن) بانتظاره..

صديقان من نوع خاص هما.. جمعتهما ظروف متناقضة فأنشأت بينهما علاقة وطيدة تأبى الانكسار.. من يتأمل صداقتهما يدرك أن لها مذاقًا مختلفاً.. يحمل مزيجاً متقنًا من المرارة والأمل..

فالمرارة تعني ما كان من الماضي..

وأما الأمل فيشفع لما قد يكون في المستقبل..

* * *

- "أنا عايزة السجاد ده يتنضف كويس أوي.. مش كل مرة هسيب اللي ورايَ وأقف على إيدكِ عشان تنضفي زي الناس"..

قالتها المرأة ثم سددت للخادمة نظرة تهديد دعمتها بعبارات تقريع متقنة:

- واضح إنك كبرتِ يا (أم حسن)، ومابقيتيش تقدري على شغل

البيت زي زمان.. لو كده قولي وإحنا نبعت نجيب بنت صغيرة من البلد تحل محلك..

- لا يا ست هانم؛ ده أنا خدامتك.. حاضر هانضفه وأخليه زي الفل.. من عينيَّ حاضر..

قالتها الخادمة ودقات قلبها تكاد تصرعها؛ فلقمة العيش لا تقبل بأي منافس.. رفعت بصرها إلى سيدتها لتضيف بعض عبارات الاعتذار الصامتة.. فما رأت منها إلا كعب حذائها.. كانت قد اتجهت نحو التلفاز حيث ينتظرها مسلسل سائج صنع خصيصًا لأشباهها.. وجدتها الخادمة فرصتها المثلى لسب المرأة والدعاء عليها مؤمِّنة.. كانت تعلم أن سيدتها لن تسمعها فهي حتمًا منشغلة بالإشفاق على البطل الذي فقد حبيبته لتوه.. ولكن ما لم تكن تعلمه حقًا هو أن هنالك من كان يراقبها عن كثب مشفقًا عليها.. لكن دون دراية منها..

هناك بالخارج وقف (حسن).. يتابع المشهد وعقله الصغير يتألم لإهانة أمه، ويناشده بالثأر لها.. كان على وشك أن يتفوه بشيء ما ولكن ذاكرته الضئيلة ألهمته مشهدًا من دفاتر الماضي.. كان مشهدًا مماثلاً.. نفس السيناريو لذات الأفراد أنفسهم ولكن أضيف عليه جملة واحدة فقط. قالها هو فنال عليها إهانة وفيرة من والدته كانت لتكفيه طوال عمره.. كل ما لفظه

كان جملة صغيرة وجهها للمرأة مدافعًا عن أمه.. عبارة بسيطة كانت.. وما كانت تستحق كل هذا التقريع في رأيه..

لطالما حيره عقله وعجّزه عن فهم الواقع.. لماذا ضربته والدته وهو المترافع عنها؟ لا بد أنها تحب هذه المرأة أكثر منه.. هكذا أجابه عقله حينها.. ولكنه عاد ليلح عليه الآن: إن كانت أمه تحبها، فلماذا تسبها دومًا وتدعو عليها بالهلاك؟!

أخذ يفكر مرارًا.. حاول أن يستوعب ففشل.. ولكنه لم يكن ليلوم عقله فهكذا العهد بينهما..

ما كان لعقل غرزت فيه البراءة عنوة أن يفهم الحياة كما سطرها البشر.. وما كان للبشر وأنصافهم أن يستوعبوا شخصًا كـ(حسن) بينهم..

* * *

مشهد متكرر هو.. يحدث كل يوم ما إن يعلن الليل استعماره للسماء..

* * *

اقترب (يوسف) من أمه محتضنًا لعبته الجديدة.. مد أطراف أصابعه ليهز كتفها لعلها تترك سماعة الهاتف وتنتبه إليه:

– ماما.. ماما.. بصي أنا اشتريت إيه؟

هزت المرأة كتفها بعصبية متأففة من مقاطعة ولدها لها.. وأشارت إليه بيدها أي ليس الآن.. تطلع (يوسف) إليها بعيون خاوية.. ثم خطا بضع خطوات مبتعدًا عن مرآها ووقف غير بعيد منها.. نظر للعبته الجديدة.. كانت طائرة بلاستيكية من طراز البوينج الشهير.. حرك أصابعه على إحدى جناحيها وكأنما يواسيها.. كان على وشك أن يتحرك إلا أن رغبة ما بعقله أمرته أن يمكث مكانه..

– هههههه.. (عادل) مفكر إنه يقدر يلوي دراعي.. لااااا.. ده بيحلم.. ده أنا معايا ورق عن شغله يوديه السجن ييجي ميت سنة.. آه يا (هيام) أمال إيه؟! اختلاس وسرقة وتهرب من الضرايب وبلاوي سودا.. هو ما يعرفش إن الورق معايا.. لا لا لا.. ده كان يقتلني.. بس ساعـــ...

لم يشأ (يوسف) أن يستمع إلى بقية الحديث.. حمل طائرته وابتعد بها.. اقترب من سلم البيت الداخلي وجلس على أولى درجاته.. أمسك الطائرة بكلتا يديه ثم نظر إليها نظرة أجمع فيها كل ملامح البراءة التي يفتقر إليها.. رفع الطائرة إلى مستوى عينيه وأخذ يحاورها..

– بابا.. هو إنتَ صحيح ممكن تدخل السجن وتسيبني؟

قالها (يوسف) ثم أخذ يضحك.. تخيل منظر والده وهو يسأله عن

مصدر كلامه.. وتصور نفسه أيضًا وهو يحكي لأبيه ما سمعه منذ لحظات وبراءة الدنيا تطل من عينيه..

لم يكن (يوسف) ليحبها فهي لم تكن أمه.. والرجل كذلك لم يكن بأبيه.. فما تشرّبه (يوسف) منهما كان كفيلاً بغصبه على مقتهما..

وما يعرفه عنهما، أيضًا، كان كفيلاً بخلق شيطان مستعر بداخله على استعداد لفعل أي شيء.. حتى إهلاك ذاته..

* * *

فما كان لعقل غرزت فيه البراءة عِنوة أن يفهم الحياة كما سطرها البشر..

* * *

ارتبك قليلاً وهو يحاول تذكر التعليمات التي يلقيها (يوسف) عليه كل ليلة.. حسنًا.. سينتظر مليًّا حتى يُطفأ نور الغرفة.. ثم يقترب من الباب.. ينتظر حتى يسمع طرقات صديقه ثم يرد عليها.. أخذ يستذكر التعليمات متمتمًا وهو يعد كل مرحلة بأصابعه.. وما إن انتهى حتى بدأ يضحك ويصفق بكلتا يديه محييًا ذاته.. فتح باب الجراج الذي يقطن فيه وتسلل خارجًا.. اقترب من الفيلا وتطلع لأعلى فوجد الظلام يطل من نافذة الغرفة.. أسعده ذلك كثيرًا وتذكر أن (يوسف) قد أخبره أن والدته مسافرة.. وهذا يعني أن الرقابة عليه منعدمة.. ويعني أيضًا –وهو الأهم بالنسبة إليه–

أنه سيمكث معه وقتًا أطول..

وضع يده في جيبه وأخرج الكشاف.. اقترب من الباب وانتظر.. ولكن انتظاره طال هذه المرة.. بل طال عن أي مرة سابقة.. بدأ القلق ينقر في أعماقه.. لم يكن يدري كيف يتصرف.. فهو لم يتعامل مع مثل تلك المواقف من قبل.. استشار عقله فأخبره أن الانتظار أفضل الاختيارات فلربما يظهر (يوسف) بعد قليل.. نظر للكشاف في يده وأخذ يسلط ضوءه على الأشياء من حوله مسليًا نفسه لحين ظهور رفيقه.. مكث في مكانه لوقت بدا له بالطويل.. ولكنه لم يتحرك فصديقه قد وعده بالمجيء وهو لا يخلف وعوده أبدًا..

سمع صوت خطوات تتحرك من خلف الباب فاستبشر خيرًا.. انتفض من مكانه وسلط الكشاف على الباب منتظرًا طرقات (يوسف).. ولكن الطرقات لم تصدر بل فتح الباب ومن خلفه ظهر والد رفيقه.. ارتجف (حسن) في بادئ الأمر فقد ظن أن الرجل قد كشف أمرهما.. ولكن ما إن وقع نظره على المرأة الواقفة بجوار سيده حتى اتخذت أفكاره منحنىً آخر..

– يا لهوي يا لهوي يا لهوي يا (عادل)!! أديه شافنا ودلوقتي يقول لمراتك!! يا لهوي يا لهوي!!

قالتها المرأة وأخذت تلطم خديها..

لم يكن (حسن) ليعي للخيانة معنىً.. فتعجب من قول المرأة.. لم

يفهم.. فتطلع إليها من جديد لعله يعي شيئًا مما يحدث فوجدها لا تزال تولول..

هدأ (عادل) من روع السيدة قائلاً:

- ما تخافيش.. ده ابن الشغالة.. مش هيقدر يقول حاجة.. أنا هاتصرف معاه.. معاكِ خمسين جنيه؟ أنا محفظتي فوق..

- خمسين؟ واللي زيه هيرضى بخمسين؟ ده ولا خمسين ألف يكفوه!! ده هيذل فينا لحد ما يبان لنا أصحاب!!

- يا ستي هاتيهم ومالكيش دعوة بس.. قلت لك هاعرف أتصرف معاه!!

- حاضر.. اتفضل أهم..

- طيب.. روحي إنتِ بقى دلوقتي.. وما تقلقيش.. أنا هاتصرف..

قالها ثم اقترب من (حسن) وأمسك ذراعه برفق:

- (حسن).. إنتَ عارف إني بحبك.. صح؟

هز (حسن) رأسه أي نعم.. فالرجل والحق يقال كان دائم الحنوّ عليه..

- طيب يا ترى.. إنتَ كمان بتحبني زي ما بحبك؟

هذه المرة هز (حسن) رأسه بحماس، فأطلق الرجل ضحكة مصطنعة، وأضاف:

- طيب لو بتحبني يبقى تسمع كلامي.. ماشي؟ إنتَ ما شفتش حاجة دلوقتي.. لا شفتني مع الست دي ولا شفت الست دي هنا من الأساس.. وإوعى.. إوعى يا (حسن) تقول لمدام (ناهد) حاجة.. اتفقنا؟

- حاضر..

- وخُد دول..

قالها ودس الورقة النقدية بيد (حسن) وأضاف:

- كلام رجالة يا (حسن)؟

فهز (حسن) رأسه بفرح وأجاب:

- كلام رجالة..

لم يكن ما وضع في يده منبعًا لسعادته.. كلا؛ فـ(حسن) لم يكن ليدرك للمادة معنى فهو بالكاد يفرق بين الجنيه وشطره.. ولكن ما بعث السرور في نفسه حقًا كان ثقة سيده به.. وائتمانه إياه على أسراره.. فهكذا صور له عقله الصغير..

نعم.. لم يكن (حسن) ليعي للخيانة معنى..

ولكنه كان يعي معنى الأمانة.. وعن استحقاق..

* * *

من يتأمل صداقتهما يدرك أن لها مذاقًا مختلفًا.. يحمل مزيجًا متقنًا من المرارة والأمل..

* * *

ربت (يوسف) على كتف (حسن) بحنان مرددًا:

– خلاص بقى يا (حسن) حقك عليَّ.. راحت عليَّ نومة امبارح.. ما تزعلش بقى أنا آسف..

قالها ثم طبع قبلة على جبهة صديقه.. فما كان من (حسن) إلا أن رسم ابتسامة صافية على وجهه وأردف:

– مش زعلان خلاص..

تنهد (يوسف) بارتياح ما إن شقت تلك الكلمات سمعه.. فما أشدّ عليه أن يغضب منه رفيقه.. كان يحبه.. نعم.. على الرغم من كراهيته لكل شيء آخر كان يحب (حسن).. كان يحب صدقه وطيبته.. وتعلقه الخالص به.. كان يحب براءته ويستمتع بها.. فأكثر ما يعشق المرء هو ما فُقد منه غصبًا.. حتى وإن لم يدرك ذلك..

وضع (يوسف) يده في جيبه ليخرج بطاقة رسمها ليريها لصديقه

فسقطت منه رزمة أوراق نقدية سارع بالتقاطها وإعادتها إلى حيث كانت..

انتبه (حسن) إلى ما حدث فسأل صديقه بعفوية:

- هو إيه اللي وقع من جيبك ده؟

صمت (يوسف) قليلا ثم أردف:

- فلوس..

- ليه؟

قالها (حسن) ببراءة.. فكل ما يعرفه عن "الفلوس" هو أنها للكبار فقط.. فالصغار حتمًا لا يحتاجون إليها.. طأطأ (يوسف) رأسه وأخذ يفكر بحيلة يقنع بها صديقه.. فهو قطعًا لن يخبره أنه قد اختلسها من والده.. مد يده إلى جيبه من جديد وأخرج البطاقة ووضعها أمام عينَيّ صديقه.. كانت صورة مرسومة لطائرة بوينج.. تمامًا كتلك اللعبة التي ابتاعها..

- أنا عايز أشتري طيارة..

قالها (يوسف) وبريق عينيه يطل منهما.. فلم يكن كل ما قاله كذبًا.. جزء منه كان حلمه الكبير.. كان يعلم بالطبع أنه لن يتمكن من شراء طائرة في الوقت الحالي ولكن حياته كانت تكمن فيها.. نهض من مقعده وفرد ذراعيه وأخذ يركض في مسارات منحنية.. توقف للحظات ونظر في عينَيّ صديقه

وأردف:

- عارف يا (حسن).. أنا لما هاكبر هابقى طيار.. وهيبقى عندي طيارة بتاعتي..

صمت قليلاً ثم أضاف بثقة:

- وهاخدك معايا.. عشان ماحدش يضايقك ولا يضربك تاني..

رفع (حسن) بصره إلى رفيقه فالتقت عيناهما.. فوجد بعينَي (يوسف) وعدًا صادقًا فما كان منه إلا أن يسأله:

- بجد؟

فأجابه (يوسف) بإصرار:

- أوعدك..

قالها ثم رفع ذراعيه وحلق من جديد.. أغمض عينيه وأخذ يحلم.. أجنحة الطائرة تحلق في كل خلية من عقله.. وترسم آمالاً عريضة في عينَي رفيقه.. ففي جناحيها تكمن حريتهما..

* * *

ولكن ما لم تكن تعلمه حقًا هو أن هنالك من كان يراقبها عن كثب مشفقًا عليها..

* * *

وما كانت تستحق كل هذا التقريع..

* * *

وهو لا يخلف وعوده أبدًا..

* * *

انكمش (حسن) في جدار الغرفة مذعورًا.. أمسكت أمه برسغه وأخذ صوتها يعلو شيئًا فشيئًا:

– بقول لك جبت الفلوس دي منين؟ انطق.. جبت الخمسين جنيه دي منين؟! يا واد رد عليا ربنا ياخدك بقى ويريحني من قرفك!!

قالتها ثم أخذت تسدد له بضع ضربات مبرحة فما كان منه إلا أن انكمش أكثر ودموعه تترنح على خديه في صمت.. لم يعرف كيف يرضي أمه.. فكل ما يفعله يثير غضبها.. أعطاها ما أخذه من سيده معتقدًا أنها ستسعد حتمًا.. فهو يعلم أن النقود تسعد الكبار.. ولكنه لم يكن ليتكهن أنها ستسأله عن مصدرها.. وما كان لينطق بحرف واحد مهما عذبته.. فقد وعد.. ولن يخلف وعده أبدًا..

رفع يده ليغطي وجهه فضربات والدته قد ازدادت وطيسًا.. وكذلك فعلت كلماتها..

– إمتى تموت بقى؟! إمتى تموت بقى؟! إمتى تموت بقى عشان

استريح منك؟!

* * *

وما يعرفه عنهما، أيضًا، كان كفيلاً بخلق شيطان مستعر بداخله على استعداد لفعل أي شيء..

* * *

لم يكن (حسن) ليعي للخيانة معنى..

* * *

وقفت المرأة أمام زوجها وأخذت تهز ساقها بعصبية.. انتبه إلى وجودها فرفع رأسه ببطء عن أوراقه وتطلع إليها ببرود وأردف:

– فيه حاجة؟

حدجته بنظرات متقدة فأيقن أن لسانها السليط على وشك أن يبدأ مسلسلاً جديدًا.. فتراجع للوراء وأسند ظهره على مقعده، ومن ثم عقد ذراعيه أمام صدره استعدادًا لما هو قادم..

– بتخونّي يا (عادل)؟!

ألقت سؤالها وشفتاها تهتزان من وطأة الانفعال وعيناها تردعان دموعها ردعًا.. ارتبك هو من وقع المفاجأة.. كاد أن ينطق بشيء ولكنه كبح زمام نفسه حتى تنتهي هي.. ولكنها لم تنطق بشيء.. فقط وقفت بمكانها منتظرة أن تطلق شفاهه سراح الإجابة.. أطرق للحظات ثم سدد إليها سؤالاً

كاد يصرعها.. إن لم تكن قد ماتت من قبله:

– ورق إيه اللي إنتِ ماسكاه عليّ يا (ناهد)؟

لم تنطق.. كادت أن تهوى على الأرض إلا أنها تحاملت على نفسها حتى ألقت بجسدها على أقرب مقعد.. قام هو من مكانه واتجه إليها.. اقترب منها ومال للأمام فأمسك بمسندى الكرسي.. قرب وجهه من عينيها وأردف:

– عايزه تدخليني السجن يا (ناهد)؟ ماشي..

قالها، ثم أمسك ذراعها بعنف وجذبها تجاهه وأضاف:

– جايّة تحاسبيني؟! عايزه تسجنيني يا حرامية يا بتاعة التلات ورقات؟ وجايّة تحاسبيني؟! يا سلام على الأخلاق!! إشحال مكنتش مصهين ع الفلوس اللي بتهلبيها من المكتب كل شوية وباعمل نفسي مش واخد بالي!!

قالها، ثم دفعها للوراء فارتطم رأسها بظهر المقعد.. اعتدل وكان على وشك أن يغادر الغرفة إلا أنه استدار إليها وأضاف مهددًا:

– إوعي تفتكري إني خايف من الورق اللي معاكي.. إنتِ عارفة أنا ممكن أعمل فيكِ إيه كويس أوي.. أنا نازل تحت.. ربع ساعة وهارجع..

ألاقي الورق على مكتبي.. ولو عرفت يا (ناهد) إنك احتفظتِ بنسخة تانية عندك.. والله لهتشوفي مني اللي ماشوفتيهوش قبل كده ف حياتك كلها!!

تركها واندفع يسارع درجات السلم قاصدًا الجراج..

- (حسن).. (حسن)..

ظهر (حسن) من خلف إحدى شجيرات الحديقة حيث كان يلاعب قطًا صغيرًا..

- تعالَ هنا..

قالها الرجل وحمم الغضب تتصبب من عينيه.. أمسك بذراع (حسن) وأخذ يعتصره.. فتأوه الأخير ألمًا..

- أنا مش قلت لك ما تجيبش سيرة لمدام (ناهد)؟ قلت لها ليه؟ انطق..

هز (حسن) رأسه في فزع وأخذ يردد:

- ماقلتلهاش حاجة والله.. والله ما قلت حاجة..

أفلت الرجل ذراعه ودفعه فسقط على الأرض.. كاد أن يركله إلا أن جزءًا ما من قلبه استيقظ فنهاه أن يفعل.. ألقى عليه نظرة غاضبة امتزجت بشيء من الندم.. ظل مكانه بضع لحظات ثم ما لبث أن انصرف مسرعًا.. زحف (حسن) على ركبتيه حتى وصل للشجرة.. أسند ظهره على جذعها

وضم ساقيه إلى صدره وأخذ يبكي.. في تلك اللحظة أدرك أنه لن يرضي أحـداً أبدًا.. ما الذي اقترفه لينال كل هذا؟!

أخذ السؤال يهز عقله.. وما من مجيب..

* * *

حاول أن يستوعب.. ولكنه فشل.

* * *

ففي جناحيها تكمن حريتهما..

* * *

مر على ما حدث قرابة الشهرين.. وذاكرة (حسن) تعي كـل تفـصيلة منه على الرغم من علتها.. حاول أن يفسر ما يحدث من حوله ولكن الإجابـة كانت تأتي دائمًا في صورة تساؤلات.. هو لم يخُن سيده.. فلماذا أهانه واتهمه بإفشاء سره.. أوَليس الكبار يعلمون كل شيء؟ لماذا تعذبه أمـه وهـو يحبهـا؟ أوَلا تحبه هي الأخرى؟ لماذا يكرهه كل الناس على الرغم من أنه لم يؤذِ أحدًا منهم.. لماذا يضايقه (علاء) ابن الجيران ويقول عليـه متخلـف؟ لـماذا تنهـره سيدته كلما رأته وتنعته بالغبي؟ لماذا؟

لماذا؟ تصارعت الأسئلة في عقله وكادت تفنيه فتوقف عن التفكير..

رفع رأسه للسماء متطلعًا للفراغ.. نظر للقمر وتذكر أن (يوسـف) قـد أخبره ذات يوم أنه عندما يحتله الحزن فإنه يستغيث بنوره.. أخذ (حـسن)

يتأمل القمر.. تارة يهز رأسه، وتارة يلوح إليه.. وبينما هو على ذاك الحال لامست القمر قطع فسفورية صغيرة.. استغرب (حسن) الأمر في بادئه.. ولكنه حملق بجوار القمر فلمح طائرة ورقية ترفرف وتتطاير منها قطع ملونة بهيجة.. ابتسم لها (حسن).. وتذكر كلمات (يوسف) عن طائرته.. أخذ يتأملها في فرح.. ابتعدت قليلاً، فنهض من مكانه وأخذ يخطو خلفها أينما اتجهت.. هبت نسمة ليلية قوية أطاحت بالطائرة بعيدًا فجن جنونه وأخذ يركض وراءها ولم ينتبه إلى أنه يترك باب الفيلا متجهًا للشارع الرئيسي.. سمع بضعة أبواق تطارده، وبعض عبارات تنعته بالغباء والعمى فلم يكترث بها.. كانت الطائرة قد استحوذت على كل كيانه.. أخذ يعدو وراءها جيئةً وذهابًا.. سمع صوت بوق سيارة لا ينقطع.. هذه المرة انتبه إليه.. نظر ليمينه فوجد سيارة مسرعة تتجه نحوه.. كاد أن يخطو جانبًا، متفاديًا إياها، إلا أن شيئًا ما في عقله أمره أن يتوقف، وأن يمكث مكانه..

ارتطم جسد السيارة به فأطاحه جانبًا.. سمع أصوات صراخ تتعالى من حوله.. أسرع صاحب السيارة نحوه وهو يسب ويلعن.. طمأنه أحد الجيران شارحًا قصور عقل (حسن). فهدأ الرجل قليلاً وتفهم أن الفتى معاق ذهنيًا.. وفي كل الأحوال سيلقي القضاء باللوم على عقل الشاب المتخلف..

رقد (حسن) على ظهره ومن فوقه تكدس أناس كثيرون.. لم يميز من بين أصواتهم سوى صوت والدته وهي تبكي وتولول.. وتعجّب منها.. ألم

تكن راغبة في موته كي ترتاح؟

"أواه يا أماه كيف أرضيكِ؟".. هكذا سأل نفسه.. شعر بيد صغيرة تعتصر كفه.. وصوت مألوف يبكي بحرقة.. تلفت بجواره فوجد (يوسف) ينتحب ودموعه تتساقط على وجهه فتمتزج بالدماء..

– ماتسيبنيش يا (حسن).. ما تسيبنيش.. عشان خاطري ما تسيبنيش!!

قالها (يوسف) وأخذ يهز في كتف صديقه بقوة.. مد (حسن) راحته إلى وجه (يوسف) فمسح دموعه وسأله بصوت متحشرج:

– توعدني تشتري الطيارة يا (يوسف)؟

ما كان من هذه العبارة إلا أن زادت من بكاء الطفل فأخذ يردد:

– عشان خاطري.. عشان خاطري ما تسيبنيش!!

كرر (حسن) عبارته من جديد والموت يضمه إليه:

– توعدني يا (يوسف)؟

– أوعدك..

قالها الطفل وسط دموعه وهو لا يكاد يصدق أن صديقه الوحيد يتركه وبلا رجعة..

حرك (حسن) رأسه ببطء حتى وقعت عيناه على الطائرة.. حاول أن

يحرك كفه ليلوح إليها مودعًا.. ويلوح للعالم بأسره.. ولكن قواه خذلته..

تأملها من جديد فتخيل أنها تجذبه إليها..

ابتسم؛ فكم بدت جميلة وهي تداعب النسيم..

وكم بدت أوراقها الفسفورية بديعة وهي تتحدى ظلام الليل..

وردة فوق الطاولة المجاورة

تك تك تك تك تك..

تك تك تك تك تك تك تك تك..

أدارت (سنا) رأسها ببطء نحو الساعة الموضوعة بجوار مخدعها فوجدت أن عقاربها الفسفورية تشير إلى الثانية عشرة والثلث من بعد منتصف الليل.. تأملت الظلام من حولها فبدا لها وكأنه استعمرها بسواده فصارت جزءًا منه لا تكاد تفصل أحدهما عن الآخر.. ضمت ساقيها إلى صدرها أكثر، ومن ثم التقطت هاتفها وأخذت تبحث عن آخر رسالة استقبلتها لعلها تضيء بعضًا مما انطفأ بداخلها..

"غاليتي كيف هي؟ أتمنى أن تبتسم قليلاً من أجلي فلن أطيل الغيبة وهذا وعد..

أغلقي عينيك ونامي لأنني أنتظرك بأرض الأحلام..

(F)

وهذه وردة ستحرسك لحين عودتي فلا تعبسي لها ودعيها ترى أجمل عينين في الكون وهما تبتسمان..

أحلام سعيدة ملاكي الجميل..

بالمناسبة..

وحشتِني بجد"..

لو أن للأحرف أبعادًا ثلاثية لاحتضنتها (سنا) دون تردد! ! تخبطت بداخلها عوالم من المشاعر المتناقضة تترنح جميعها ما بين الغبطة والحنق.. غبطة لتفاؤل بالمستقبل يحمل شفرة سعادته "هو" وحده.. وحنق من خاضر اغتال كل ذرة صبر وأمان لديها.. احتوت عيناها العبارات من جديد، ومن ثمَّ أرخت جسدها على السرير وأسبلت جفنيها طاعة لأمره.. "هو" سيزورها بالأحلام.. هكذا وعد وحتمًا سيفي.. تخيلت الوردة وهي تتطلع إليها فابتسمت لها.. حاولت الرضوخ للنعاس ولكن عقلها ظل متشبثًا ببقايا أفكار حالكة القتامة.. انكمش جفناها فتمخضا عن قطيرة دموع كانت ترجو الفلات منذ دهورٍ! !

يدك التي حطت على كتفي.. كحمامة نزلت لكي تشرب . عندي تساوي ألف أمنية.. ياليتها تبقى ولا تذهب.. الشمس نائمة على كتفي.. قبلتها ألفًا.. ألفًا، ولم أتعب..

انطلق "كاظم" يشدو بكلمات الأغنية التي أهداها إياها (طارق) في يوم ميلادها فصارت نغمة خاصة به على هاتفها.. انتفض جسدها من وقع المفاجأة

والسعادة و.. اختطفت الهاتف في لهفة ومن ثم ضغطت على الزر الأخضر..

- آلووو..

- ما نمتيش ليه؟

تخيلت تعبيرات وجهه وحاجبه المرفوع حين نطق تلك العبارة.. أخذت تحرك إصبعها في حركات دائرية على الوسادة في محاولة للبحث عن إجابة تحميها من عباراته المعاتبة:

- أصل.. أنا.. يعني.. مش جالي نوم فكدا يعني.. واا.. بس..

- وبس؟

- آه..

- فعلا؟

أيقنَت أن حجتها المرتبكة لم تقنعه، فحاولت عبثًا تغيير مسار الموضوع على الرغم من رغبتها الشديدة في البكاء والاحتماء به ولكنها آثرت ألا تختم يومه بستار أسود من دموعها..

- إنتَ إزيك؟ عملت إيه في شغلك؟

- إزيي؟ كويس.. عملت إيه في شغلي؟ تمام.. مالك؟

- ها؟

- مالك؟ كنتِ بتعيّطي ليه؟

- مكنتش بعيّط ولا حاجة.. يمكن بس عشان أنت سافرت يعني.. وافتقدتك وكده.. مفيش حاجة.. آآآه صحيح.. إنت كلمتني دلوقتي ليه؟ مش عوايدك تتصل متأخر يعني.. فيك حاجة؟

- لأ.. أنا اتصلت عشان أعرف إنتِ اللي فيكِ إيه. (سنا).. مالك بجد؟

لم تستطع جفونها ردع الدموع أكثر من ذلك فاجتاحتها بعنف وانطلقت تحفر طريقها على خدي الفتاة بصحبة أنّات متقطعة من التناهيد الموجوعة.. آلمها أن تؤرق بقايا يومه بأخبارها التعيسة ولكن قلبها لم يحتمل أن يصد الإنسان الوحيد الذي يشعر بجزعه..

- إهدي.. إهدي.. اتكلمي بالراحة.. حصل إيه؟

- مما.. ماماما.. ماما..

- ششششششششش..شششششششش.. بالراحة.. إهدي.. إهدي شوية عشان خاطري..

هدأت دموعها قليلاً، ومن ثم أخذت أنفاسها تتبع ذات الفعل..

- ماما زعقت لي عشان.. عشان معملتش حاجة معاها في البيت.. وأنا

والله العظيم كنت عيانة ومرحتش الشغل النهاردا، وطول اليوم في السرير، وهي شايفاني وعارفة.. زعقت لي جامد أوي.. وبابا كمان قعد يهزأني عشان خايف منها، وقال لي ما هي كمان تعبانة.. وبعدين رمت الهدوم ف وشي وقعدت تشتمني.. و..

صمتت قليلاً لتلتقط أنفاسها وتتابع:

– أنا مش عيّلة عشان أتضايق إنها زعقت لي؛ أنا أصلاً اتعودت وأخدت حصانة خلاص مبقاش المهزأة والشتيمة يأثروا فيَّ.. بس أنا كل اللي وجعني.. إن..

قالتها من ثم عاد صوتها يختنق بالدموع من جديد..

– إني مباصعبش عليها.. إنها مش حنينة عليَّ.. أنا.. أنا حاسة إني يتيمة يا (طارق).. معنديش أم.. ليه طيب؟ ليه أمي مش حنينة عليَّ زي بقية الناس؟ الموقف يمكن تحسه تافه وتحس إني عيّلة مخها فاضي.. بس بجد متتخيلش قد إيه وجعني إني أتعب وما أصعبش عليها.. لا وكمان تزعق لي على إني مساعدتهاش.. أنا بقيت حاسة إني بجد.. مش عارفة.. مش عارفة حتى أوصف لك الإحساس اللي جوايَ.. شعور بشع كده بالوحدة والألم واليتم وعدم الأمان.. كل ما حد يقول إن أمه عملت له حاجة باحس إني باتقتل.. باموت.. عشان أنا غير الكل.. أنا بجد مبقيتش قادرة.. فاكر لما قلت

لك إن مديري ف الشغل بيضايقني لأني مش متجاوبة معاه في اللي عايزه؟ أنا قلت لهم ف البيت.. معملوش حاجة.. والله العظيم ما عملوا حاجة.. ولا اتنرفزوا ولا كأني قلت أي حاجة.. ماما بس قالت لي هزئيه قدام الناس ومش عارف إيه، وهو هيبعد عنك.. إنت بس اللي زعلت عشاني واتنرفزت واتضايقت.. ساعتها حسيت إنك كل أهلي والحد اللي ليَّ في الدنيا دي..

عاد صوتها يختنق بالعَبَرات من جديد ولكن هذه المرة وجد من يقف في طريقه فهدأ رويدًا..

– وأنا هابقى على طول جنبك يا (سنا).. حبيبتي مفيش حاجة بتفضل زي ما هي.. كله بيتغير والدنيا بتتقلب فوقها تحتها وساعتها لما بنبص ع الماضي بنستغربه وبنحتاج فترة عشان نستوعب إن إحنا هما نفس الأشخاص اللي كانوا كده زمان..

ختم عبارته تلك وانتظر لبرهة ليطمئن أنها قد هدأت، ومن ثم أتبعها بأخرى:

– أنا هاجي من السفر بعد بُكره.. مش عايز ألاقي عيونك منفوخة م العياط.. عايز أشوفها دايمًا بتضحك.. يلا حطي راسك ع المخدة ونامي.. كل حاجة هتتغير وتبقى أجمل بكره..

– حاضر..

وضعت رأسها على الوسادة وأغمضت جفنيها.. رسمت شفتيها ابتسامة انتظار ملهوف لـ"بكره" الذي سيحضره (طارق) معه.. فقط تنتظر أن يقولها.. "بحبك يا (سنا) وعايز أرتبط بيكي".. حينها فقط سيتغير عالمها.. وتبتسم عيناها.. وينسى الحزن عنوان قلبها.. ويأتي "بكره" بكل أفراحه..

فقط حينما يقول لها "بحبك يا (سنا)"..

* * *

لكم من الغباء أن يعتقد المرء أن كل من حوله هم أسرى للسذاجة تمامًا مثله!! فصدق أو لا تصدق.. المعظم مريض باللؤم لحين اكتشاف مصل مضاد له وهيهات هيهات!!

ما إن خطت (سنا) أولى خطواتها داخل حجرتها بالعمل حتى طوقها لفيف من غريبات الأطوار يدعين أنهن زميلاتها.. وانهلن عليها بقذائف أسئلة سريعة الاستفزاز جعلتها تلعن اللحظة التي روت فيها لـ(مريم) ما صار بينها وبين والدتها..

– إلا إيه اللي حصل يا (سنا) ها؟

– ههههههههه صحيح أبوكي بيخاف من أمك؟ ههههههههه..

– يا حبيبتي مفيهاش حاجة أما تساعدي مامتك ف شغل البيت يعني ما هي أكيد بتتعب.. حرام عليكِ تسيبيها لوحدها كده.. عيب عليكِ

إنتِ عروسة..

– والله يا (سنا) إنتِ عبيطة.. حد يزعل على حاجة زي دي؟! فيها إيه يعني لما أمك تزعق لك؟ ههههههههه بطلي عبط يا بنتي..

لقد أصبحت خصوصيات مشاعرها سخرية للجميع مع توقيع (مريم)!! ولسوف تحظى بالكثير من الـ"هههههههههههئ" والـ"هههههههههههؤ" للقرون العشرة القادمة.. أدارت وجهها لشاشة الحاسوب من بعد أن صرفتهن بإجابات مقتضبة مفادها أن صحتها في تحسن مع خالص الشكر والامتنان لاهتمامهن.. أخذت تدور بالفأرة في ملفات عشوائية حتى تهدأ قليلاً.. فتحت البريد الإلكتروني الخاص بالشركة فوجدت رسالة ما كان منها إلا أن زادت من توترها.. ولكنه ذلك التوتر السعيد إن أدركتم ما أعني!

"مرحبًا جميعًا..

يحزنني أن أبلغكم أن السيد كريم الدفراوي، المدير بقسم العلاقات العامة، قد تعرض لحادث مؤسف وهو الآن بالمشفى وحالته بالغة الخطورة.. نرجو منكم الدعاء له بالشفاء..

مع خالـــ...".

انتفض قلب (سنا) وأخذت دقاتـه تتـسابق مع أنفاسـها فأخيرًا قـد اقتُص لها من ذلك الوغد.. لكـم تتمنـى أن تُنـزَع روحـه مـن جـسده الحقـير ليتخلص الكون من قذارته.. ولكن يا ترى من ذلك البطل الذي فعلها؟ من هذا الذي انتقم لها دون قصدٍ منه؟ من ذلك الذي وضع حدًا لمأساتها؟ إنـه لا يعلـم كم تعشقه في تلك اللحظة حتى دون سابق معرفة!! فمن يكون يـا تـرى؟ مـن يكون؟ من؟! من؟!

* * *

بدت الشمس في غاية الإشراق والدفء على الـرغم مـن جـو أغـسطس الحارق.. ازدهرت الورود بجميع أنواعهـا.. اختفـت الـسحب مـن الـسماء.. وأخـذت الطيـور تغـرد.. اتـسم جميـع البـشر بـاللطف والـود.. و.. و..و.. باختصار لقد عاد (طارق).. فهكذا يكون الكون بالنسبة لـ(سنا) في وجوده..

تطلعت إليه بسعادة غريبة.. كطفل قد عاد والده إلى البيت بعـد طـول غياب.. ودت أن تحكي له كل ما حدث في غيابه بالتفاصيل والوقـائع.. ولكـن الأحداث تزاحمت في عقلها وتـشابكت مع غبطتهـا فلـم يـصدر عنهـا سـوى ابتسامة طفولية بريئة.. وصمت طويلاً..

- إحكي لي بقى إيـه اللـي حـصل معـاكي وأنـا مـش موجـود؟ عـايز تفاصيل..

– أمممم.. آه، آه.. صحيح في خبر تحفة.. (كريم) الغتت ف المستشفى..

تطلع إلى قائمة الطعام الموضوعة على المنضدة أمامه، ومن ثم أعارها نصف اهتمامه وتساءل بفتور:

– ودا من إيه؟ غشمه اتهجم عليه ولا غرق ف غبائه؟

– ههههه، لأ، مش حاجة من دول.. ماعرفش بصراحة بس المهم إنه ف المستشفى وخلاص.. عارف؟ هاموت وأعرف مين السبب ف الحدث الجليل ده.. بجد بجد ربنا يكرمه ويعمر بيته ويرزقه من وسع..

– من وسع؟

– ههههههه، آه من وسع..

رفعت رأسها لتطلب النادل فوجدت مجموعة من الفتيات يحتللن الطاولة المجاورة يتطلعن إليهما ويتهامسن.. فتحركت بداخلها أشواك الغيرة فزجرتهن بنظرة حادة أردعت كل واحدة منهن وألزمتها بالنظر في اتجاه معاكس.. فهي موقنة أنهن يتطلعن إلى (طارق) ومن تجرؤ على فعل ذلك فلا تلومن إلا نفسها..

– قلة ذوق!!

– ليه كده بس يا (سنا)؟

– يا سلام؟! يعني أسيبهم يقعدوا يبحلقوا فينا كده؟ الغتاتة دي؟!

– طيب خلاص خلاص.. تِحبي أقوم أضربهم؟

– ههههههههههه، لا، خلاص.. وبعدين ما أتوقعش إنك تضرب حد خالص يا (طارق).. ده مش طبعك أبدًا..

ابتسم وتطلع إليها طويلاً دون أن ينطق بحرف.. ومن ثم حرك شفتيه وأردف:

– (سنا).. أنا عشانك ممكن أعمل أي حاجة حتى لو مكانتش من طبعي.. لو حتى وصلِت إني أضرب واحد حيوان وأرقده ف المستشفى.. أنا ممكن أعمل أي حاجة بس محدش يزعلك أو يؤذيكِ ولو حتى بشكة دبوس..

تطلعت إليه بدهشة ممتنة تنم عن إدراك حديث.. امتلأت عيناها بدموع فرحة ولكنها حجبتها كي لا تزعجه.. أما هو فلقد اتجه لموضوع آخر كي ينتزعها مما كانت فيه..

– هاقول لك حاجة ولو إني عارف مصيري بعدها.. بصي يا ستي أنا هاضطر.. هاضطر.. هاضطر.. والله العظيم هاضطر.. إني أسافر يوم الخميس.. بس لما أرجــــع...

- إيه؟! ده أنت ما كملتش يومين هنا يعني!!

- بس لما أرجع هبقى عايز أكلمك ف موضوع مهم أوي..

قالها وابتسم فابتسمت هي بدورها.. كان بداخلها شعور أكيد أن ما يريد قوله بعد عودته ما هو إلا ما كانت تنتظره وتريده هي.. أخيرًا سيصارحها لتتغير حياتها ولتذهب كل تعاستها للجحيم!! "بحبك يا (سنا)".. أخيرًا سيقولها..

إذًا فـ"بعد عودته" هو موعدها الرسمي مع الحياة.. والاعتذار مرفوض..

* * *

- مش عارفة والله يا (طارق).. بلاش بكره طيب، لأن ماما بتكون قاعدة ف البيت وبتعرف لما بتأخر وبتقعد تسألني كنتِ فين وشغل مخابـ...

انحشرت الكلمات في حلقها وأخذت عضلات جسدها الضئيل تنتفض في رعب بشع؛ فقد اقتحمت أمها الغرفة بعد أن سمعت الحديث كله أو آخر جزء منه على الأقل.. وهذا يعني أن حكم الإعدام في حد ذاته سيكون قمة الرحمة بالنسبة لها.. اقتربت منها ونزعت الهاتف من يدها المرتعدة..

- آلوو.. آلووو.. رد يا حيوان..

نظرت إلى الهاتف فوجدت أن شاشته تعرض الصورة.. أي أن المتصل

قد أنهى المكالمة.. انتابتها نوبة من الغضب، ومن ثمَّ أخذت تقلب في ملفات الهاتف الداخلية.. ارتفع حاجباها في دهشة غريبة فآخر مكالمة واردة يعود تاريخها للأمس، أما آخر مكالمة صادرة من الهاتف فمنذ صباح اليوم!!

ياللهاتف الملعون!! ألقته وأمسكت ببعض من خصلات شعر الفتاة المذعورة وجذبتها بقوة:

– إنتِ أصلك لو كنتِ لقيتِ حد يربيكِ مكنتيش عملتِ كده! يا (توفيييييييق).. تعالَ هنا شوف بنتك المحترمة المتربية.. بتتفق مع ولد على معاد ف التليفون ويا عالِم بيتقابلوا فين!! تعالَ شوف تربيتك العالية!!

لا تعليق.. فيمكنك أن تتخيل ما حدث للفتاة بعد ذلك ولأيام متتالية.. الكثير من التقريع والإهانة.. ومن ثم المزيد منهما.. فالمزيد المزيد.. وبعد أن أصبحت عجينة رخوة تصلح للاعتراف قرروا سؤالها عن الوغد الذي سيصبح "مرحومًا" من بعد لقاء أخويها.. عجبًا فأين كانوا جميعًا بدمائهم الحارة تلك حين كان مديرها يتحرش بها؟!

وبناءً على الضغط النفسي والبدني الرهيبين اضطرت البائسة للإدلاء بكل ما تعرفه من معلومات شخصية عن (طارق).. وهنا كانت المفاجأة التي لم تستطع كل الموسيقى التصويرية، التي عزفت في جميع الأفلام غربية كانت أم

محلية، منذ أول فيلم حتى آخره، أن تعبر عن وقع نتيجة البحث:

- (طارق أحمد منتصر العشري).. مفيش حد بالاسم ده ف نقابة المهندسين..

- شركة (العروبة) للمقاولات مفيهاش مهندس اسمه كده.. زائد إن مالهاش فرع ف إسكندرية..

- الزمالك مفيهاش شارع اسمه "الصاوي"؛ وبالتالي الشارع ده مفيهوش بيت برقم "26"!!

إذًا، فلا وجود لشيء باسم (طارق) من الأساس! ! اعتقدوا أنها تكذب عليهم لتحميه.. اعتقدوا أن هنالك علاقة مريبة بينهما لذلك فهي تكذب.. اعتقدوا أن الوغد قد هرب.. اعتقدوا الكثير والكثير.. أما (سنا) فقد اعتقدت شيئًا واحدًا فقط.. ألا وهو أنه لا وجود لشيء باسم (طارق)، وهذا ترجمته ثلاثة أشياء لا غير: انهيار عصبي حاد، ومستشفى للأمراض النفسية والعصبية، وصرخة تقول "لا" مزقت كل شيء جميل بداخلها..

* * *

(فصام) أو (شيزوفرينيا).. اختر التعبير الذي يعجبك فكلاهما يحملان ذات المعنى.. وكلاهما ينتميان لعقل (سنا)؛ فالفتاة المسكينة مصابة بالفصام، أي أنها تتخيل أشياء لا كينونة لها.. أي أن (طارق) حقًا لا أساس

له من الوجود.. ولكن ليس لكونه وغدًا أو نصابًا أو أي شيء من هذا القبيـل.. ولكن لأنه مجرد صورة خيالية لكل ما كانت تحتاجه (سنا) فاخترعته وألبسته إياه.. كانت محاولة إقناع أهلها بما أصابها مهمة عسيرة، أما محاولة إقناعها هي فلقد كانت مؤلمة.. فقط حاول أن تقنع إنسانًا أن من يحب ما هو إلا مجرد سراب.. أن من كان يتمنى أن ينبض ويتنفس ويتألم بدلاً منه ليريحه ما هو إلا مجرد تخاريف مَرضيّة.. أن المستقبل الهادئ والحياة الطبيعية المستقرة ما هي إلا وهم.. حاول أن تتخيل وستعرف ما يقتل الفتاة من إحساس وعلى أقل تقديراته..

* * *

تأملت (سنا) الحديقة الخارجية للمشفى من داخل غرفتها.. إن الوقت قد تجاوز منتصف الليل بكثير.. أو هكذا اعتقدت، فهي لم تعد تصدق أي شيء مما تراه عيناها.. قربت إصبعها من النافذة وأخذت تخط اسم (طارق) عشرات المرات، ومن ثم ضغطت على الزجاج بحركة فجائية وأخذت تمسحه وكأنها تمحو ما كتبت.. استدارت لتلقي بجسدها على أقرب مقعد.. أرخت رأسها وأخذت تتأمل سقف الغرفة الأملس.. بدا لها كل شيء هادئًا وأخرس إلا من طرقات خفيفة على باب غرفتها بدأت تجذب أذنها.. توقعت أن تكون الممرضة الخرقاء قد جاءت لتجبرها على النوم.. ولكن الطارق لم يكن

المرضة.. كان (طارق) ذاته!! اقترب منها ووقف بجوارها ووضع يده على كتفها برفق:

- سلامتك يا (سنا).. صدقيني مش هتقعدي هنا كتير.. يومين وهتطلعي.. بجد إنتِ مفيكيش حاجة..

أدارت وجهها للنافذة وانسابت دموعها لتؤلمها..

- (سنا).. إنتِ مبترديش عليَّ ليه؟ إنتِ زعلانة مني؟ (سنا).. ردي عليَّ.. (سنا)..

هز كتفها فانتفضت وقامت من مقعدها لتقف أمامه مباشرة:

- أنا بكرهك!

تطلّع إليها بدهشة صامتة، ومن ثم اقترب منها وفتح فمه ليقول شيئًا.. ولكنها هجمت عليه بوابل من الضربات الضعيفة وأخذت تردد في هستيرية:

- إنت وعدتِني إنك هتفضل جنبي على طول.. إنت كدبت عليَّ..أنت ليه مش حقيقي؟ ليه؟! لييه؟! ليييييييييييييييه؟!

انطلقت صرخاتها لتخرق جدران غرفتها فهرعت المرضات يقتحمن الباب وحملنها ليضعنها في مخدعها استعدادًا لحقنها بجرعة جديدة من

المهدئ.. حاولت أن تقاوم أيديهن الباردة.. حاولت أن تقاوم نظرات (طارق) المصدومة لها.. حاولت أن تجد إجابة لسؤالها.. حاولت أن تقنع نفسها أن كل ذلك ما هو إلا كابوس سخيف وستفيق منه.. حاولت وحاولت وحاولت.. ولكنها فشلت ثم فشلت.. ثم فشلت..

* * *

من يتطلع في وجوه أهل (سنا) وهم يزورونها فحتمًا سيؤكد أن هذه الوجوه تصلح لمشهد عزاء متقنٍ لأحد أفلام الخمسينيات، فكل واحد من أخويها ينظر للآخر بحسرة غريبة وكأن شقيقتهما قد أصبحت وصمة عار على عائلتهم المبجلة.. أما أمها فقد أغرقت حالها بشلالات من الدموع ونظرات مبللة لزوجها مفادها "البنت اللي حيلتنا اتجننت يا (توفيق)".. تطلعت إليهم (سنا) وعلى وجهها ابتسامة مصطنعة.. فلقد قررت أن تبتسم لكل ما تمقته، وتتجاهل كل ما يسعدها وتعبس له؛ لكي تشفى من الجنون.. التفت إليها أبوها بعد أن وخزته أمها ليقول شيئًا:

– آآآ.. مش (كريم) المدير الغتت بتاعك طلع م المستشفى امبارح؟ عقبالك يا حبيبتي.. إن شاء الله هتطلعي من هنا بسرعة..

– هو كان دخل المستشفى ليه أصلا؟

– بيقول لك ولد شامم هباب كان خابطه بالعربية..

– آه..

قالتها وابتسمت في مرارة.. حقًا إن عقلها قد صور لها كل شيء بالطريقة التي تريدها.. ألا إن عقلها يستحق جائزة على الإبداع إذًا!!

نظر والدها في ساعة يده وأشار إلى بقية الحاشية بوجوب انصرافهم لأمر ما تافه لم تعره (سنا) أي اهتمام.. قبّلوها وانصرفوا واحدًا تلو الآخر وبقيت الغرفة خاوية إلا من الممرضة التي قد دلفت لتضع الدواء أمامها وترحل في عجلة.. أمسكت (سنا) بكبسولة الدواء وتأمّلتها.. وباغت عقلها مجموعة من الأفكار الباهتة.. فغدًا ستشفى وستذهب للعمل من جديد لتجد (كريم) في استقبالها، وتذهب للبيت لتلقي أمها بالملابس في وجهها وتوجه لها أجرح العبارات لأنها لم تساعدها في أعمال المنزل وهي مريضة.. نعم، نعم، فغدًا ستشفى وتتخلص من المرض وتتلون حياتها بالأسود من جديد ولكن هذه المرة دون نور أمل في المستقبل يغصبها على ازدراد الحاضر.. نعم، حقًا غدًا ستشفى.. يا لها من صفقة مغرية تقدمها لها تلك الكبسولة الصغيرة.. تأملتها (سنا) من جديد، ومن ثم ترجلت من فوق سريرها واقتربت من سلة المهملات حيث لقيت الكبسولة مثواها الأخير.. ألقتها، ومن ثم عادت أدراجها من حيث أتت واسترخت على السرير ونظرت للطاولة المجاورة له فوجدت وردة حمراء ملتصقًا بها كارت صغير.. مدت يدها

لتحضره ومن ثم قربته إليها لتقرأ ما كُتب عليه:

"غاليتي أتمنى أن تغفري لي.. أنا آسف..

أحبك كثيرا يا (سنا)"

احتوت (سنا) الوريقة بقبضتها ونظرت للوردة وابتسمت في سعادة.. مدت يدها فالتقطتها ووضعتها على الوسادة بجوارها ومن ثم أرخت جفنيها.. نعم إنها تعرف أنها مجرد تهيؤات.. نعم إنها تعلم أنها مريضة.. نعم إنها تدرك أنها إن لم تتناول دواءها فستظل هكذا إلى الأبد.. ولكن مهلاً.. ماذا يضرها إن كانت ستظل كذلك؟! ففي "كذلك" راحتها.. وفي "كذلك" (طارق) بكل ما يحمله من حنان صادق..

إذًا فتبًا للحقيقة القاتلة العابسة.. وأهلاً ألف أهلاً بخيال فيه حياتها..

الأربعاء- 2008/12/24- الساعة 4:49 مساءً

خواطر

جو الدكتور نبيل بقى !! ..

شكر خاص له على أفضاله الغزيرة على جيلنا من الكتاب والقراء ..

الخاطرة زي قديمة شوية .. قبل ما الواحد يبقى عنده "قرائن" في الكتابة ..

أنا عندي قرائن .. أنت عندك واحد؟!! ..

يارا جمال الدين

من فيلم عمره ما هيتعرض



متى لا تستطيع؟

متى تشعر أنك لا تستطيع أن تسامح؟

ألم تسأل نفسك هذا السؤال من قبل؟

متى يفقد الإنسان القدرة على التسامح؟

متى يحاول جاهدًا أن يفعل فلا يستطيع؟

أوَعندما يكون الجرح عميقًا أليمًا يأبى أن يندمل؟

أم عندما تكون الصفعة من أقرب الناس إلينا؟

حينما تقف حائرًا للحظات تحاول أن تبتسم في وجه منَ آلمك كي لا يرى دموع الذهول والجزع في عينيك..

عندما تحاول أن تداري عنه أنك ما زلت تتألم..

عندما تحاول أن تنكر أن الجرح لا يزال ينزف..

عندما تضحك من قلبك وهو يدمي..

عندما تفعل كل ذلك حتى لا تؤلمه بألمه لك..

عندها فقط..

اعلم أنك لن تسامحه أبدًا..

قد تنسى وقد تتناسى ولكنك لن تسامح..

وتتعجب لحظتها..

إنك تغفر لكل من أساء إليك إلا هو..

نعم..

نحن نغفر لكل من أوجعنا إلا من نحبهم..

لا نغفر لهم أبدًا..

لأننا لا نتوقع أن يكونوا هم من يجرحوننا..

لحظتها يزول الغضب ويحل مكانه الحزن..

الحزن الدفين..

إلى الأبد..

وتنظر إليه بعينين أرهقهما طول الصراع وتقول لذاتك..

سأسامح..

سأنسى..

سأغفر..

وأنت تعلم أنك لن تفعل..

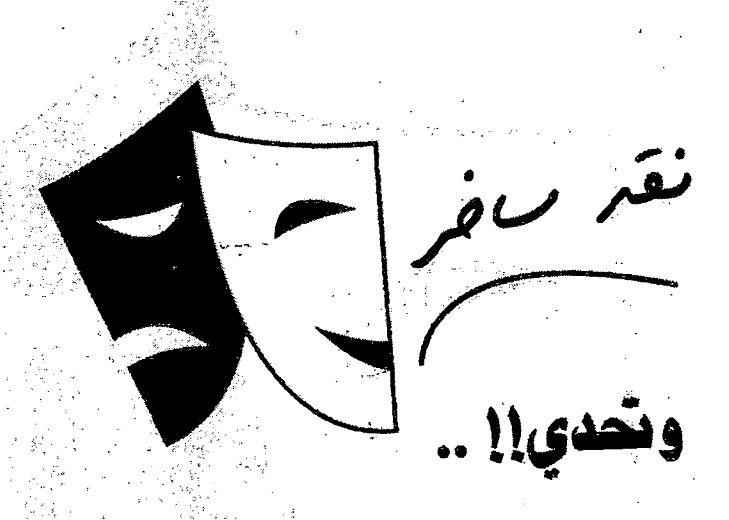
لن تفعل أبدًا..

لأنك وببساطة..

تحبه..

ملحوظة: حاولت أن أغير من أسلوب الخاطرة عندما قرأتها مؤخرًا ولكنني فضلت أن أتركها كما هي كي أتذكر دائمًا أنني كنت أتبع أسلوب أستاذي الفاضل – ولِيّ الشرف – قبل أن يكون لي أسلوبي الخاص..





شيكابيكا وبولوتيكا ومقالب أنتيكا ..
ولا تزعل ولا تحزن .. اضحك يرضو يا ويكا ..
هاهاهاها .. ع الشيكا بيكا !! ..

سعاد حسني
من فيلم "المتوحشة"

في الهلبؤة

هذه القصة كانت تحمل عنوانًا آخر ألا وهو "لأ".. ومحتوى يختلف بشكل كبير عن هذا الموجود بين أيديكم الآن.. ولكنني - ولأسباب لا أعلمها - وجدتني وأنا أعدّل بعض النقاط الطفيفة أخرج عن سياق القصة تمامًا.. ولعلها تعجبكم.. أتمنى ذلك..

* * *

- يا نهار أزرق يا جدعاااان!! بقى (كريم عزمي) يتعين وكيل نيابة؟!

- آه.. ابن اللللللـــــــــــ... محامي.. رزق أمه بقى.. هنعترض؟!

- رزق مين يابويا؟! ده ما كانش بيحضر طول الأربع سنـــ... أربع سنين إيه؟! ده خد الليسانس في تسع سنين مع الشغل!! ده ما يعرفش حاجة خالص عن القانون.. كل معلوماته عن كلية الحقوق إنها في جامعة القاهرة.. ده لو سألته في واحدة تانية في عين شمس ولا لأ هيقولك استنى أما أسأل دادي!! يا (حسن) ده متخرج بمقبول جدًا مع مرتبة الشرف بالبُق بتاعها!!

- يا "حمادة".. ما انا قلت لك دي أرزاق.. أرزاااااق.. وبعدين أنت

عارف خاله يبقى مين؟!

- لا والله معرفش.. حيكون مين يعني؟!

- خاله يا سيدي يبقاااااا.. قرب وأنا أقولك في ودنك "..."، فهمت؟!

اتبطيت دلوقتي؟!

- يسسسللللم.. ومالك خايف أوي كده ليه؟! وبعدين لما هو خاله يبقى مستشار الريس مخلاهوش يطلع بامتياز ليه يا حيلتها؟!

- عشان ساعتها مكنش مستشار يا خيبتها.. كان لسّه عقبال ما تشوف عيالك كده.. فسخاني على كارّو! أضف لذلك بقى إن قبل الثورة الجرايد مكانتش تقدر تبُق غير مع بتوع "الفسيخ".. وبتوع "كفاية".. فالراجل يعني معذور و"الأدواء كانت مسلتة" عليه..

- لا لا لا لا لأ.. الكلام ده مياكلش معايا!! يعني هو لما يعين ابن أخته وكيل نيابة بمقبول وهو مستشار للرياسة "الأدواء مش هتُسلت عليه" يا عم القُصري؟! ده الكبل بتاع المنطقة بحالها يفرقع فيه هو وأهله!!

- لا، ما هو معاليك الكهربا موصلتش للقسم بتاعنا لسّه..

- على رأيك.. العيب ف فانوس رمضان شبيه "بوجي" اللي طالع لنا زي الحيل ده.. بس إبقى قابلني لو البلد دي حالها انصلح..

- يا سيدي.. هي كانت بلد أبونا.. ما تتحرق بجاز ولا تولع حتى.. إحنا مالنا.. الواحد فينا بس يجيب له عقد عمل إن شالله حتى في جزر الهلبؤة.. وطيراااان على هناك.. يا سلاااام.. ده بيقولوا الهوا هناك يرد الروح..

– ف الهلبؤة؟

– آه.. وبعدين أنا هاقعد هنا أعمل إيه.. ملعون أبو دي بلد!! أنا من ساعة ما اتخرجت من تلات سنـــــــ..

– ستة.. ستة يا توتو!!

– ستة يا عم الذاكرة الملتهبة.. من ساعة ما اتخرجت من ست سنين وأنا قاعد أغسل ف شرابات أبويا.. نفسي.. نفسي بقى حد من العيال إخواتي هو اللي يلبس مكاني.. لحسن ريحتى بقت بكابورتات أوريجينال..

– لا، الصراحة الطموح دابحك جامد..

– ع الأقل باعمل حاجة مفيدة.. من وجهة نظر أبويا.. الدور والباقي ع اللي من ساعة ما اتخرج والكلية رفضت تاخده معيد.. وهو لابس جلابية "عم شكشك" ومعتصم لهم قدام المبنى ورافع بافِتَّة كاتـــــــ..

– لافتة يا أمي يا جاهل..

- بااااافِتّة كاتب عليها : "يا تعيّنوني معيد.. يا هالبد لكم لحد العيد".. بذمتك أنت محترم أنت؟!

- ما هي البلد مش هتطلع لقدام غير بكده.. الاعتصام هو الحل!!

- وحياتك مهتجيب الأول حتى طول ما أنت بمنظرك ده..

- أمال أعمل إيه يعني.. أسيب حقي؟!

- بص.. إنت قدامك حل من اتنين.. يا تسافر معايا وساعتها ناخد الجنسية ونبقى مواطنين هلبؤيين.. يا إما تغسل الشرابات بدالي..

- يا عم روح.. أما أبقى أغسل وشي الأول!!

- لأ، ما دي خطوة أولى.. إحنا هنبتدي بالأنضف لحد ما نوصل لوشك.. يعني الشرابات وبعدها الغيارات، ومن ثمّ وشك..

- قلت لأ..

- طب سافر معايا..

- لأ.. مستحيل أسيب بلدي!!

- يا ابني والله العظيم هي عايزاك تسيبها.. إنتَ فركش معاها بس وشوف هي هتتبسط إزاي..

- برضو لأ..

– قلت لأ؟ وبرضو لأ؟ إيه إعلان السمنة ده؟! طب قوم اكتب لك بافِتتين.. يمكن يعينوك ف جمعتين!! وهيييييييه..

* * *

– يا بابي.. يا بابي.. ده أول يوم ليَّ في المحكمة ولازم تكون معايا.. يعني يرضيك أروح لوحدي؟!

– يا ابني هو أنت رايح الحضانة؟! ده أنت رايح الشغل..

– يوووه.. طب.. طب وصي عليَّ..

– أوصي عليك إيه بس يا (كريم)؟! هو امتحان إعدادية يا ابني؟!

– وصي عليَّ الراجل اللي بيبقى قاعد في النص ده.. وبيرغي طول الوقت..

– ده اسمه القاضي يا حبيبي..

– أيوه أيوه.. هو أونكل القاضي ده.. وصيه ما يزعقليش..

– يا ابني وهو هيزعق لك ليه بس؟! هو كُتَّاب؟! دي محكمة.. محكمة يا ابني..

– أصل (وائل) ابن طنط (صباح) بيقول إن.. اسمه إيه الراجل الشرير اللي بيبقى قاعد ف النص ده..

- القاضي..

- أيوه هو ده.. (وائل) بيقول إنه زعق له واتريق عليه كمان..

- ليه بقى إن شاء الله؟

- مش عارف.. (وائل) نفسه مش عارف..

- طب بص يا حبيبي.. راجع إنت بس القضية كويس وهو مش حيزعق لك.. ولو ما فهمشي اللي إنت بتقوله إبقى إدي له مثل من واقع الحياة..

- حاضر يا بابي.. بس أنا عايز منك حاجة كمان..

- خيير يا حبيبي..

- والنبي خلي مامي تصحى الصبح بدري تعمل لي سندوتشات مربة بالقشطة لحسن أجوع ف البريك و(وائل) بيقول إن مفيش كانتين هناك.. بابي.. بابيي أنت مش بترد عليَّ ليه؟! يا بااابيي.. يووه كل أما أطلب منك حاجة تنام ع السجادة وتعمل نفسك قاطع النفس.. إنت بقيت شرير أوي يا بابي زي الراجل اللي بيقعد ف النص ده.. أنا مخاصمك.. هه يلا..

* * *

- حسن: حجرين معسل يا (سُمعة) بس بسرعة وحياة والدك.. عايز

حاجه يا (عمووور)؟

– عمر: تسلم يا كبير.. خيرك سابق..

– حسن: إيه الأخبار يا بوب؟ اسكت مش أنا جبت مكنة بتغسل الشراب... إيه ده؟! مش ده (أحمد خيري) برده اللي جاي علينا ده؟! هاهاهاهاااااااي.. آه يا حلوه يا بافِتَّة يا مبقعة.. شرفتي أصحابك الأربعة.. شفت بقيت باكتب شعارات أهه.. عشان أرفع راسك بس وسط صحابك المعمصين معاك..

– أحمد: أنت حتبتديها تريقة من أولها؟ ما تتمسى..

– حسن: أصلك عمرك ما قعدت على قهوة.. إلا صحيح إنت فكيت الاعتصام المكون منك ومن ذاتك ونفسك وسبتهم وجيت هنا ليه.. مش خايف يزعلوا منك؟

– أحمد: قدري حكم عليَّ أقعد مع أشكالك.. حتتلم ولا أقوم أمشي؟

– حسن: لا، لأ.. وعلى إيه.. خليك قاعد..

– عمر: مالك يا "أبوحميد" شكلك تعبان.. هو التعميص اللي بيقول عليه (حسن) هو اللي عامل فيك كده؟ يا سيدي ما لو تاعبك قوي كده ما تقوم تغسل وشك.. ولا اللي يغسل وشه يبقى خسر ف المسابقة؟! مش هي فكرته

اللي يعمص أكتر هو اللي يكسب؟!

– حسن: شد إنت بس وملكش دعوة يا "عمور".. معلش يا "أبوحميد".. أصله كان معتصم بقاله يومين.. بس ف غرزة كده ف النزلة.. ههههااااايي.. بص يا "أبوالمعمرين".. أخوك (أحمد) ده راجل وابن بلد وسمع كده طراطيش كلام من النشرة إن البلد تعبانة.. فقال لك إيه لما أقف أعمص جنبها.. بس إيه بقى زي ما تقول كده الدنيا كانت عتمة فمخادتش بالها إنه معمص بقاله كتير وصدّرت له الطرشة.. فرجليه وجعته من كتر الوقفة جنبها فقال بيجي يريح شوية.. نيااااهاااااايي..

– أحمد: إنت شكلك عامل دماغ شرابات من بتاعة أبوك وجاي تفوق عليّ..

– عمر: هي الحاجة تعبانة ولا حاجة؟ وحياتك يابا ما حد قال لي كنت قمت بالواجب.. طب ما كلمتوش ليه برنامج "صبايا" كانوا لموا لكم مبلغ كويس؟! بس ملحوقة ملحوقة.. آدي اتنين جنيه مني.. والله ده كل اللي معايا.. طلع يا (حسن) اللي معاك ما تبقاش نتن.. الحاجة أم الأستاذ ف شدة يا جدع.. كويس كده يا باشا؟ لو الوالدة محتاجة حاجة تانية قول.. ما تتكسفش أنا زي أخوك برضو..

– أحمد: من ناحية محتاجة.. فهي محتاجة..

– عمر: محتاجة إيه؟

– أحمد: محتاجة رجالة..

– حسن: لاااا.. بقول لك إيه يا أبو بافِتّة وبامبرز إنتَ.. بص على نفسك الأول وبعدين اتكلم.. ماشي يااا (سعاد)؟!

– أحمد: ما علينا.. ما علينا.. بقول لك إيه يالا.. أنا كنت جايلك ف مصلحة كده.. هتقضيهالي ولا هتندل زي ما ندلت مع أمي من شوية؟!

– حسن: يا باشا عيب الكلام دا، إحنا تحت أمرك..

– أحمد:.. أنااا.. أنا كنت عايز بتاع م اللي معاك ده.. عقد عمل..

– عمر: لا والله؟ هي الحاجة خفت خلاص؟!

– أحمد: .. آه يا خويا خفت خلاص.. ما هو (عمر) اتبرع لها بمخه وبقت زي الفل.. إخلص!!

– حسن: والله أشوف يا "حمادة".. الهلبؤة تأشيراتها حنينة.. أصل لسّه ما اكتشفوهاش ع الخريطة..

– أحمد: طب وعم السكران ده هييجي معانا؟!

– حسن: "عمور"؟! لا ده عنده طموحات تانية..

– أحمد: يا "عم العمور".. إلا الطموحات إيه نظامها معاك؟ (حسن)

بيقول إن عندك حاجات حلوة بس مدكن..

– عمر: طموحاتشي؟ بفففففففففففف (ينفث دخان الشيشة).. بص يا غالي.. من ساعة ما جارتنا أم (مجدي) عزّلت وربنا فتحها عليها وراحت "الدويقة".. الله يرحمها بقى.. بفففففففففففف (ينفث دخان الشيشة) وأنا نفسي ف حاجة واحدة بس..

– أحمد: اللي هي؟

– عمر: حوض..

– أحمد: حوض تغسل فيه وشك؟! ده أنت معانا ف المسابقة من زمان بقى بس متخفي..

– عمر: لا، لأ مش ده.. أنا عايز م التاني أبو سمك..

– أحمد: حوض سمك؟

– عمر: آه.. أصل أنا يا باشا نفسي أروح أطاليا وخايف أغرق ف البحر.. فقلت لو عُمت ف حوض هوصل أسرع.. ده أولاً.. ثانيًا، مش هاغرق عشان الحوض أصلاً هيبقى أصغر مني ومش هيسعني..

– أحمد: هو ده اللي هيقعد هنا؟

– حسن: آه.. لحد ما يحوش ويشتري الحوض..

- أحمد: وأنا اللي هاسافر؟

- حسن: آه.. بس هنرن ع الأستاذ هلبؤ الأول عشان يسيب لنا المفتاح فوق العتب.. إفرض رحنا لقينا البوابة مقفولة.. هنضطر نرجع تاني..

- أحمد: أنا كده اطمنت ع البلد.. خلاص.. طالما (عمـر) فيهـا يبقـى في أمل..

- عمر: أمل دي تبقى خالتك "أحمادة" مش كده؟!

* * *

- يا ابني حرام عليك.. إنت بقالك نـص ساعة بتقـول علـى الراجـل مدان.. ولما أسألك ليه تقول لي عشان هو متهم.. إيه يا ابـني فـوازير رمـضان دي؟ ما تخُش في الموضوع!!

- أصل يا أونكل.. أ...

- يا ابني متقوليش يا أونكل.. قولي يا سيادة القاضـي.. بـس ماشـي أونكل أونكل بس خلصنا...

- أصل.. أصلو مدان..

- يوووووووووه.. حيقول لي مدان تاني!! ياخوااااااتيييييي.. ألطـم.. ولا أسيب لك المحكمة كلها وأمشي.. يا ابني أدخـل في الموضـوع.. في عرضـك تخلصنا.. ده أنا قد والدك برضو وصاحب عيا.. قول يا حبيبي.. قول..

– أصل جريمة القتل دي أنا كنت شفتها في فيلـ...

– قتل؟! قتل إيه يا ابني؟! دي قضية اختلاس.. ياخرااااابيييي.. وكمان منتاش عارف موضوع القضية؟! آآآآه.. تعالي لي يا امّا.. شوفي اللي بيحصل في ابنك!!

– ما تعملش في نفسك كده يا أونكل..

– إنت مالكشي دعوة بيا خالص.. أنت فاهم؟ خليك في مصيبتك.. قول يا ابني.. قول يا حضرة وكيل النيابة.. سمعني.. اطربني.. قول كمان..

– طيب.. أنا حاقول لحضرتك مثل من واقع الحياة..

– قول مثل.. قول نكتة.. قول فزورة.. قول أي حاجة.. كلامك كله حكم.. بس قول.. قول يا بابا.. قول.. ما تتكسفش..

– أنا باتفرج في التليفزيون على (بكار).. و(رشيدة) كمان.. آه والله.. لما صاحب (بكار) سرق.. (بكار) قال له إيه بقى؟! قال له عيب.. كده حرام ربنا هيزعل منك وهيدخلك النار..

– (بكار) و(رشيدة)؟! طب مفيش (توم) و(جيري)؟!

– فيه طبعًا يا أونكل.. بس دول هاستعين بيهم في قضية السرقة في الحصة الجاية بتاعة أونكل اللي شعره على جنب ده.. إيه ده.. أونكل.. يا

أونكل.. يا جماعة متقلقوش ده نزل تحت المكتب وبيلعب معايا زي بابي..
طب غمض عينك بقى وعد لعشرة ولما تفتّح دور عليّ.. بابي كان عنده حق،
عمو ده طيب خالص والمحكمة دي جميلة أوي عاملة زي الجنينة بتاعة
جدو..

* * *

– أبو حمييييد..

– يا صباح الشرابات النايلون..

– أحبيبي أبو بافِتّة.. أنا عندي خبر كده بس مش قد كده..

– والله كده ولا كده لازم هتقوله.. مش كده؟!

– هو كده.. بص "أحمادة".. الواد (كريم) صاحب موقعة "بكار
ورشيدة ف قاعة المحكمة".. اتنيل على عينه واتجوز.. وقرر يقضي شهر
العسل بتاعه فيييين؟

– فين؟

– ف الهلبؤة..

– هيهلبأ هناك؟

– آه..

– يلا بالشفا..

– أصلهم لما عرفوا إن خاله مستشار الريس.. لقوا له الهلبؤة ع الخريطة.. وقالوا مكافأة ليه واعتزازًا بيه هيقفلوا كل الحجوزات لهناك عشان يستمتع هو وعروسته لوحدهم ومحدش يضايقهم.. وده لمدة شهر.. فللأسف هنضطر نستنى لما يرجع.. بس أنا سمعت كده إشاعات بتقول إن "كوكي" قال إن لو نظام القضاء ف الهلبؤة عجبه هيستقر هناك ومش هيرجع تاني.. وف الحالة دي إحنا عمرنا ما هنقدر نسافر..

– لهو أنا مقولتلكش يا "أبو علي"..

– لا والله.. بس قول هاسمعك يعني..

– أصل أنا صرفت نظر عن فكرة السفر دي بس ملحقتش أقول لك.. لسّه الفكرة جاية لي أول ما شفت خلقتك..

– حقيقي..

– وحياة شرابات أبوك عندي..

– أمال هتعمل إيه.. هتعمص تاني؟!

– لهو أنا مقولتلكش..

– لا وحياة عماصك..

– أصلهم نقلوا الكلية للهلبؤة فمعدش فيه حتة أعتصم فيها..

– أمال هتعمل إيه..

– بص يا (أبو الحسنات).. أنا بفكر كده.. بس ربنا يقدرني يعني.. بفكر أجيب حوض زرع..

– إشمعنى؟

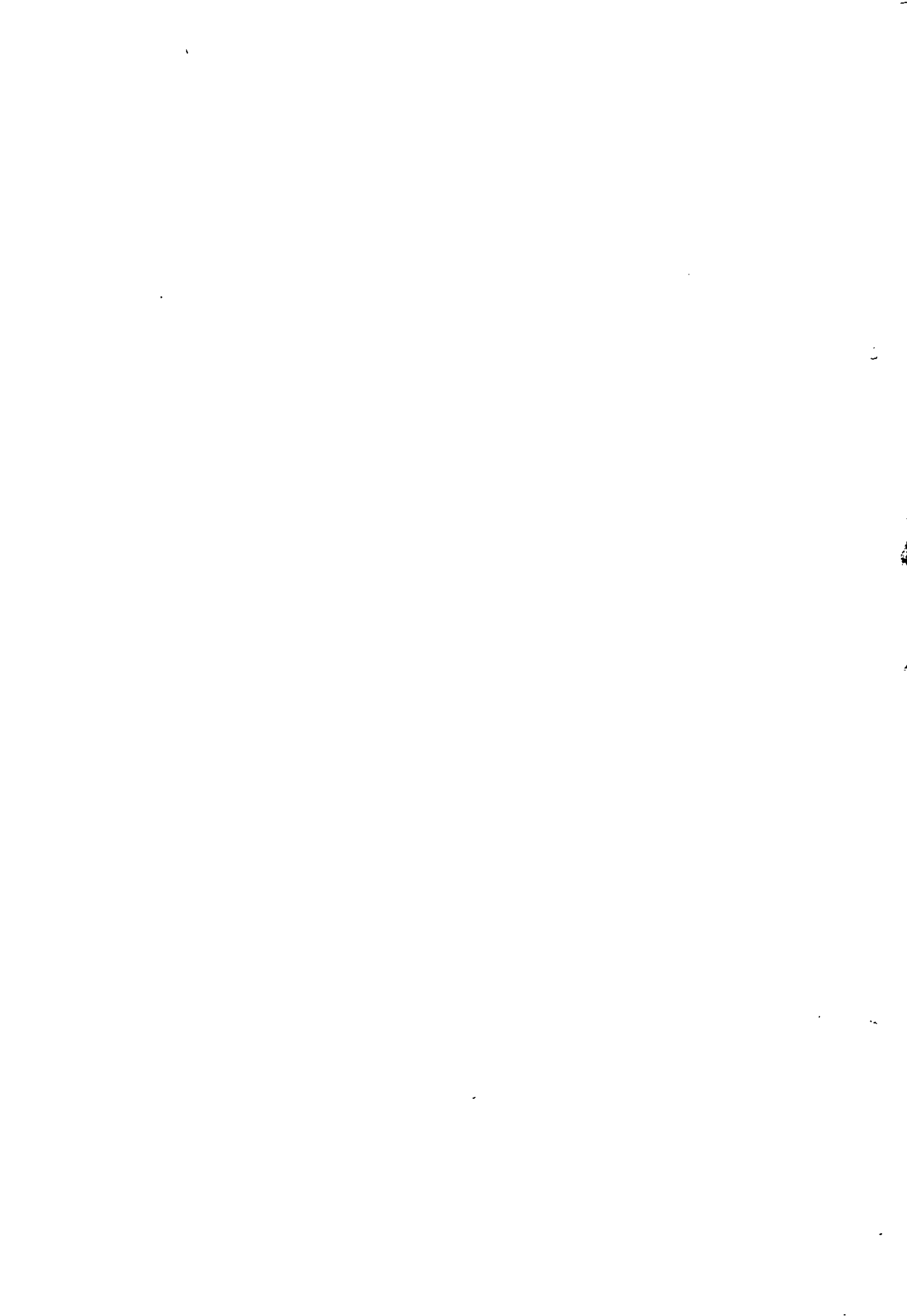
– أصل أنا عايز أدفن نفسي.. بس خايف أدفن نفسي بجد أموت.. فقلت أجرب أموت ف الحوض الأول عشان مامتش لما أدفن نفسي.. بس لما أحوّش تمنه الأول.. ساعتها أبقى أشوف هادفن نفسي الأول.. ولا أموت الأول..

الخميس- 15 نوفمبر 2012- الساعة 3:15 صباحًا

الفهرس

للتواصل مع الكاتبة:

yara_gamalaldin@hotmail.com



أقسم بأن فكرة نشر عمل خاص لي تراودني منذ لا أدري .. فلنقل منذ زمن طويل جداً يتعدى السنوات الست ويزيد ... ولكنني أتراجع أو أتباطأ أو أتناسى أو أتنازل أو أتخلى.. سمها ما شئت .. وحيث يبدل الله الليل بالنهار والجوع بالشبع وحسني بمرسي .. فقد تبدلت أنا من كل هؤلاء إلى حالة "إقرار النشر" وللخالق الحمد !! ..

وأنا أعدك أيها القارئ الفاضل بأن تجد في هذا الكتاب "كوكتيل مشكل" .. يعني ربع اجتماعي على تمن كوميدي على سلايساية رومانسية محندقة .. بمعنى أوضح ستجد بالصلاة على النبي كدا زي ما بيقولوا ..
من كل رجلٍ قبيييييييييلة ..

فأتمنى أن تنال قبائلي المتواضعة .. إعجاب فخامة سيادة حضرة معاليك ..

ملحوظة: اسمي الحركي في "نادي روايات" هو "Pooh" وساعات بيقولولي "يارا" وأحياناً "يارا جمال الدين" .. عشان بس محدش يعمل نفسه مش واخد باله :D :D :P :P



نبذة عن الكاتب

* (يارا جمال الدين).. من مواليد 9 أغسطس ، انجلترا - المملكة المتحدة
* حاصلة على بكالوريوس الهندسة المعمارية، من: الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا والنقل البحري
* حصلت على جائزة مسابقة (بدايات) للقصة القصيرة عن عمل "سلمى"
* حصلت على المركز الثاني في مسابقة (بص وطل) للقصة القصيرة عن عمل "غداً سيكون"
* لها عدة أعمال في سلسلة "مولوتوف" الصادرة عن: (دار ليلى للنشر والتوزيع)

